1015
Harlequin
سلسلة قصص و روايات عبير
دار النحاس

بعد شهر العسل

الكسندرا سكوت

روايات عبير

ريما www.liilas.com

بعد شهر العسل

الكسندرا سكوت

«لم تستطع الاعتراف تماماً، بأن ما كان يدور في ذهنها هو أن تسحره. تغريه ربما... ولكن أن تسحره؟»

تزوجت جين جيمس بارنارد بعد قصة حب عاصف خلال فترة العطلة. عندما عادا إلى مدينة لندن الممطرة وواجها متاعب الحياة اليومية بدا أن شهر العسل قد انتهى فجأة. أكدت جين لنفسها، أن زواجها قوي بما فيه الكفاية، كي يصمد أمام أي خطر، لأنها وجيمس يحبان بعضهما البعض... أو هل هذا صحيح؟ جعلها تعليق عابر من زميل جيمس الساحر، تدرك أن حب زوجها لها غير مسلم به، وهكذا أخذت على عاتقها أن تبرهن على أن حبهما لم ينته بعد من شهر العسل.

www.liilas.com

ريما www.liilas.com

الفصل الأول

كانت شبه مستيقظة تتمطى بتراخٍ غير معتاد، حين أمسكت يداها بقوة حانية وثبتتا على الوسادة فوق رأسها. «كلا!» قالت باحتجاج ولكن الكلمة خرجت كتمتمة استحسان وتقدير، كون تمنياتها الحقيقية تُرجمت على نحو صحيح. بل أنه استبق نيّتها على فتح عينيها فأغرق جفنيها بقبلات ناعمة كرفرفات فراشة.

لو أن خيالها بلغ أوج التكهن والتوقع لعجز عن تهيئتها لتلك النشوة اللذيذة والمشاعر التملكية الحادة التي تصاعدت في كيانها باندفاع لا يُقاوم...

أطلق إحدى يديها ثم طوّق خصرها وعانقها وبعد لحظات ابتعد عنها، ففتحت مقلتيها بتمهل وطالعتها عيناه اللتان سبّبتا لها مشكلات جمّة من أول يوم رأتهما، سوداوين تقريباً ولكنهما في الأصل بنّيتان داكنتان تلتمعان بومضات عنبرية، وكانتا الآن تتوهجان بما يشبه المرح مع أنهما تألقتا ذلك اليوم بالغضب. كان ذلك منذ أسبوعين فقط. من كان ليصدّق بأنها تصرفت آنذاك بمنتهى الوقاحة؟ ومع ذلك...

قال مبتسماً: «حدثيني عن نفسك، اروي لي قصة حياتك.»

«ماذا...؟» بادلته ابتسامته واشتد وجيب قلبها الذي سمعه حتماً. «ماذا تريد أن تعرف بالتحديد؟»

www.liilas.com ريما

«كل شيء... في أي مدرسة تعلمت، من كانت صديقتك المفضلة، أين كنت تمضين الإجازات في صغرك... أوه، كل شيء. بالتفصيل.» وعادت شفتاه ترفرفان على محيّاها فاختفى جوابها وجرفهما الحب بعيداً.

في وقت لاحق، كان يجلس على الشرفة، ولما أقبلت نحوه سألها إن كانت تريد تناول الفطور. وما أن رأت تعبير عينيه حتى شعرت ثانيةً بالحرارة تدب في جلدها وتورد وجنتيها، وعبثاً حاولت إخفاء ذلك برفع شعرها الأشقر الذي تهاوى على محيّاها.

ابتسمت لحظات طويلة تبادله ابتسامته الحميمة وقالت بدلال: «الإفطار فكرة حسنة إنما أفضّل أولاً أن أستحم.»

«هل أعتبر ذلك دعوة؟» وابتسم باستحسان ماكر حين احمرّ وجهها من جديد.

شعرت بالهشاشة. وفرضت عليها غريزتها بأن ترد بإيجابية وهي ترمق شعره الرطب: «حسبتُ أنك استحممت.»

«لن أذوب إذا أخذت حماماً آخر.» ثم نهض وحضنها بحنان وقال ملامساً قميصها الحريري: «ولكن يجب ألا أضايقك يا حلوتي. فمن الأكيد أنك غير معتادة على هذا الوضع، ولذا قررت...»

قاطعته وقد استردت شيئاً من ثقتها الذاتية: «بوسعي أن أعتاد عليه بسهولة.»

«لكن ليس بالسرعة المطلوبة، أليس كذلك؟»

أبعدها عنه قليلاً، متأملاً شعرها اللمّاع المتهاوي

على كتفيها، وعينيها الخضراوين الواسعتين وشكل شفتيها الرائع وقال بصوت خفيض مركز: «أشعر بأني سأجد صعوبة في الاعتياد على كل ما فيك.»

قالت بدلال وهي تتجه هاربة إلى الحمام: «صحيح، فأنت لا تعرف إلا القليل عنّي، يا جيمس بارنارد.»

لحق بها إلى الحمام وأغلق بابه ثم قال حين نزعت القميص وألقت به على كرسي: «لذلك قرّرت ألا نضيّع دقيقة واحدة. هيا، اروي لي قصة حياتك ريثما أفرك لك ظهرك.»

في وقت لاحق من ذلك اليوم، نظرت إلى رأسه الأسود الشعر، المستلقي على الوسادة بقربها واستغربت الموجة العاطفية الجامحة التي اجتاحت كيانها، ولكنها كبحت رغبتها في مدّ يدها لتزيح خصلاته الداكنة عن جبينه. ظهر شيئاً من العبوس على وجهه وكأنه كان بدوره محتاراً ومندهشاً من كل ما جرى خلال الأيام السبعة التي انقضت على مغادرتهما مطار هيثرو.

منذ سبعة أيام بدأت جين إجازة عادية مريحة في جزر الكاريبي، ولكنها تحولت إلى غير ذلك. وهنا تورد وجهها وابتسمت حين فكّرت بأن تلك الإجازة لم تكن عادية ولا مريحة!

لقد لاحظته قبل أن يحس بوجودها أو يلتفت إليها... مع أنه احتج مراراً وتكراراً منكراً هذه الحقيقة. كان قد وصل متأخراً إلى قاعة المغادرة في المطار، وبدا شديد الثقة بنفسه، الأمر الذي لم يقلّل من اهتمام المضيفة به، إذ كانت تحوم حوله وتسهّل له المعاملات وكأنه أحد افراد الأسرة المالكة.

www.liilas.com ريما

كانت جين تضع نظارة سوداء وتخفي محيّاها خلف نسخة من مجلة بوموند، فلاحظت بحريّة وسامته الفريدة التي وضعته خارج نطاق اهتمامها. فهي لا تنجذب إلى الرجال المفرطي الوسامة لإيمانها بأنهم يكونون عادة مغرورين ومعتادين على التسلط، برغم أنها اعترفت بالإثارة البسيطة التي دغدغت قلبها لحظتئذٍ، إلا أنها صممت على ألا تدع ذلك يؤثر بتاتاً على موقفها.

بالطبع هي... وَلّدت الذكرى ضحكة في حلقها ولكنها سارعت إلى كتمها لئلا توقظه... بالطبع لم تقصد أن تدلق ذلك العصير على رأسه في الطائرة كي تستحوذ على اهتمامه. مع أنها لا تستطيع الإنكار بأن الشراب اندلق عليه بقوة وفجائية. كان غافلاً عن كل شيء، يقرأ رواية بهدوء، وفي اللحظة التالية هبّ واقفاً ينفث حمم غضبه.

تمنّت آنذاك لو تنشق أرضية الطائرة وتبتلعها قبل أن تقول: «أنا آسفة، آسفة جداً! أنا...»

ردّ بحنق وعيناه تقدحان شرراً: «هل من عادتك أن تقذفي الشراب على الناس؟»

«كلا.» ردّت بصوت مرتجف وقد شقّ عليها أن تساهم في مشهد علنيّ كهذا في بداية رحلةٍ شيقة ومريحة. ثم أشارت إلى الأم وطفلتها الجالستين بجوارها وأضافت شارحة: «لقد اضطرتا للمرور من أمامي، وخطر لي أن أقف لأسهل عليهما الأمر...»

«تقصدين أنه من الأسهل عليك وضع اللوم عليهما.»

«لا، لم يكن هذا ما أردت قوله.» لم تكن مستعدة للتساهل معه إلى هذا الحد وتابعت: «أعتقد أنك شعرت ببعض الارتجاج.

وكنتُ أقف لحظة سقوط الطائرة في جيب هوائي وحملت الكأس لأضمن عدم اندلاق العصير، ولكنه انسكب على الرغم مني. وأرجو ألا تكون تخيّلت بأني فعلت ذلك عمداً؟»

في هذا الوقت كانت المضيفة قد هرعت إليه وأخذت تجفف سترته وتتمتم كلمات كان المقصود منها تهدئة خاطره ولكن جين وجدتها مزعجة للغاية.

قال معلّقاً على شرحها: «لست متأكداً من أن هذه هي الحقيقة.» رمقها بنظرة غاضبة أخيرة وكأنه يقول إن خدعتها هذه ليست بجديدة عليه، ثم أشاح عنها، وهزّ الكتاب الذي لم ينج بدوره من الغرق، جلس ثانية على مقعده، الأمر الذي أضطرها للحذر ازاءه وهي تغلي غضباً.

هكذا جلست خلفه، تراقب مؤخرة رأسه المغرور وذهنها ينزل أشكالاً متنوعة من وسائل التعذيب التي كانت ستلائم الموقف. إنه معتزّ بنفسه، ومغرور ومنتفخ... صفات توقعت أن تجدها في رجل على غراره. إنه من النوع الذي ما أن يحرك اصبعه حتى تتواثب النساء حوله. استرخت على مقعدها وأغمضت عينيها لتحجب المقارنة... من ناحية أخرى، لم يبدُ أنه لاحظها كامرأة وهي معتادة على أن تلاحظ كأنثى. كان من الخير لو أنها وفّرت على نفسها مؤونة اختيار ثياب سفر جذّابة ومتناسقة.

ارتدت تنورة بنّية فاتحة من التويد الناعم، تظهر رشاقة ساقيها الطويلتين، وسترة قصيرة ذات مربعات بُنّية وخضراء.

تنهدت بعمق وتمنت لو أن الرحلة تنتهي لتستقر في الفندق. كذلك أملت ألا ينزل في الفندق ذاته، فالوضع سيكون

رهيباً إذا ما اضطرت إلى تمضية العطلة في تبادل النظرات الغاضبة عبر مطعم الفندق. في أي حال، لم يبق سوى ساعتين على هبوط الطائرة ومن الخير أن تحاول نسيان الحادثة حتى ذلك الوقت.

احتشدوا حول مكتب الاستقبال في فندق أوشن باي الفخم ينتظرون توزيعهم على غرفهم. ابتسمت جين وتراجعت قليلاً لتفسح الطريق لكارلا، جارتها في الطائرة والتي تسبّبت بطريقة غير مباشرة في اندلاق العصير. ثم لمست الطفلة المتعلقة بعنق أمها وقالت: «تبدو مرهقة.»

ابتسمت كارلا باعياء: «وأنا أيضاً، فالوصول في منتصف الليل أمر شاق وأنا أكرر هذه الغلطة دائماً.» ثم قبّلت ابنتها وأردفت: «لقد استيقظت عند الفجر... وتعلمين هشاشة الأطفال...»

لكن جين لا تعرف شيئاً عن الأطفال، وشعرت بما يشبه الارتياح. إذ يكفي أن يتكفل المرء بنفسه في هذه الرحلات الجوّية الطويلة من دون أن يكون ملزماً برعاية طفل...

ثم جاء دورها فتسلمت المفتاح من الموظف الذي وضّح لها بأن الطعام سوف يُرسل إلى غرفتها. ولمّا تراجعت خطوة، شعرت للتو بأن كعب حذائها العالي داس بقوة على قدم شخص ما. «أوه، أنا آسفة...» استدارت بسرعة وجفّت الكلمة على شفتيها حين واجهت قسمات الرجل المتقلصة ألماً، ما لبث أسفها أن تحوّل إلى غضب لا منطقي وهتفت: «هل من عادتك التسلل من وراء الناس على هذا النحو؟»

أجاب متشدقاً بسخرية: «آه، حسبت أنك ستعتذرين لي ثانية. وهذه المرة عن محاولتك إحداث ثقب في قدمي.»

www.liilas.com ريما

عجزت عن النطق، ورأت الموظف يسلّمه مفتاحه، ثم قادهما صبيّان باتجاه المصعد، حاملين حقائبهما الثقيلة. أحست بالغضب من الطريقة التي كان يعرج بها، ورفضت أن تلين لابتسامته التي لاحظتها بطرف عينها وهما يرتقيان إلى الطبقات العليا.

كانت ما تزال حانقة عندما توقف المصعد. التقطت حقيبتها اليدوية الثقيلة التي حوت، إضافة إلى التذاكر وجواز السفر، بضعة كتب ومجلّة وتشكيلة من زجاجات مستحضرات العناية بالجلد، ولمّا طوّحتها لتعلّق حمّالتها على كتفها، اختار تلك اللحظة بالذات ليرفع حقيبته فإذا بحقيبتها الثقيلة تسقط على يده بعنف. حاولت أن تغضّ النظر عما حصل ولكن الدم تدفق إلى وجهها.

وقف يفرك يده ويحدّق إليها هذه المرة باهتمام وإمعان. همس، ثم علّق بنبرة متفهمة أكثر مما هي متذمرة: «يبدو واضحاً أنك تضمرين لي السوء، أليس كذلك؟»

غادرت المصعد بسرعة ووقفت تنتظر الصبي الحمّال ليفتح باب الغرفة رقم ٣٠٦، وعندها أجابته: «لا تجامل نفسك!» ولمّا صارت في حجرتها تذكرت بأنها رأته يفتح باب الغرفة رقم ٣٠٧.

لن تقبل بهذا الوضع! فغداً صباحاً، بعدما تنام وتستريح تماماً، ستلحّ على إدارة الفندق بأن تنقلها إلى حجرة أخرى. من المستحيل أن تتحمل وجوده القريب، واصغاءه من خلال الجدار إلى حركاتها وسكناتها ـ كلما استعملت الحمام أو المنافع. ومع أن الشرفات بدت محجوبة كلياً إنما سيسهل عليه نسبياً أن يخترقها إذا ما صمم على ذلك...

قُرع بابها فاستدارت، ثم فتحه نادل بشوش ودخل بصينية طعام، وضعها على الطاولة وانصرف. لم تكن جائعة بالفعل ولكنها استمتعت بتناول الحساء المثلج وشريحة الخبز الساخنة. تركت العجّة والسلطة وأكلت فاكهة الباوباو المنعشة. بعد ذلك بدا لها السرير العريض بشراشفه القطنية الباردة أجمل مكان في الدنيا وأشده ترحيباً...

نامت براحة وعمق. وحتى فكرة وجود ذلك الشاب الأسمر على بعد أمتار منها لم تكن كافية لتسهيدها. لما استيقظت صباحاً لم تستشعر شيئاً من غيظ الأمس وتوتره، بل لم تعد واثقة من رغبتها في الانتقال إلى غرفة أخرى. ولمّا خرجت إلى الشرفة ونظرت حولها، تأكدت من أنها ستتردد كثيراً في التضحية بمشهد كهذا. انحنت على الدرابزين وانسحرت بمرأى السماء الصافية والبحر الزبرجديّ المرصّع بجزر صغيرة متألقة، وبالأمواج المتكسرة بزبد كسول على الرمال الناصعة البياض. كلا، لن تتنازل عن هذه الغرفة لمطلق سبب، وإذا ما أزعجها ذلك الشخص مرة أخرى فسوف تلحّ على إدارة الفندق بأن تبدّل غرفته.

رفعت الفكرة معنوياتها، فملأت رئتيها بالنسيم العطر العليل وعادت إلى الداخل وهي تدندن بمرح وأخذت تستعد للخروج. بدت فاتنة في ثوب السباحة الجذّاب وقالت في نفسها وهي تدور أمام المرآة، هذه إحدى حسنات العمل كمراسلة أزياء لمجلة شهيرة على غرار بوموند. الملبوسات الباهظة الثمن التي تُستعمل للتصوير والنشر، كثيراً ما تُباع

www.liilas.com ريما

للعاملات في مجلة بوموند اللندنية بجزءٍ بسيط من أسعارها الحقيقية. ومثال ذلك، هذا المايوه الأسود الموشح بلون أخضر والذي يظهر مفاتنها، سيكون إعلاناً ناجحاً لدليل الرحلة التسويقي، عندما تظهر فيه حول حوض السباحة وقت الافطار.

انتعلت صندلاً عالي الكعب. ولمّا رفعت حقيبة يدها ابتسمت قليلاً وأزالت منها نصف محتوياتها، فلماذا تحمّل نفسها كل هذه الأغراض مابهم يكفيها كتاب واحد للقراءة. لقد قررت أن تمضي ذلك اليوم في استرخاءٍ تام، تتخلله بضع غطسات في البحر. ولكن قبل كل شيء، يجب أن تأكل، فهي جائعة جداً ومستعدة لتناول أي شيء يقدّمه الفندق.

كانت تضغط على زرّ المصعد حين سمعت باباً يُفتح ثم يُغلق فعرفت من دون أن تلتفت صاحب الظل الذي انطرح عليها.

قالت: «صباح الخير.» ثم ولجت المصعد غير ناظرة إليه وطفق قلبها يخفق بعنف وحال دون سماعها جوابه. رأت فقط اصبعاً طويلاً يمتد إلى لوحة الأزرار، ولاحظت الساعة الذهبية على معصمه والشعرات السود على زنديه القويين.

«إلى قاعة الاستقبال؟» سأل.

شيء في تصرفه جعلها تنظر إليه. وتوترت فوراً من جراء تعبيره المتسلي ولكنها شعرت بالامتنان كونها استبقت الأمور ووضعت نظارة سوداء.

«أجل. من فضلك.» أجابت ببرودة تامة وهي تنظر أمامها وكأن باب المصعد البرونزي يستطيع محو الصورة التي رأته عليها... سروال بلون الرمل، وحذاء بنّي، وقميص

ريما www.liilas.com

مفتوحة الصدر تظهر جلده الأسمر، وقد سرّها لسبب ما، أنها لم تر على صدره أي أثر للسلاسل الذهبية التي يتزين بها رجال عديدون هذه الأيام.

«هل سامحتني؟» كان صوته عميقاً وجذاباً مثل صورته.

«سامحتك؟» أوحت نبرتها الجوفاء المتعمدة بأنها لم تفكر فيه حتى هذه اللحظة، ورفعت حاجبيها ببرود علّها تثبط عزيمته.

«تعرفين ما أعني، فأنا أذنبتُ حين اعترضت طريق ذلك العصير الذي دلقته في أنحاء الطائرة، ثم حين وضعتُ قدمي تحت ذلك الخنجر الذي تنتعلينه.»

كتمت ضحكتها بصعوبة وقالت: «أنسيت أيضاً... حادثة المصعد؟»

«أجل، تلك أيضاً. اعتداء وضرب بحقيبة ثقيلة. هل أنت امرأة سياسية؟ إن كنت كذلك، فهل تُراك تطلبين مني أن أخذ مركزك السياسي بعين الاعتبار؟»

هنا، لم تجد القدرة ولا الجدوى من كتم ابتسامتها: «من الخير أن تفعل ذلك.» ولمّا نظرت في عينيه أجفلها الإعجاب والاهتمام المرسومين فيهما. كما أجفلها تجاوبها السريع. إنه رجل جذّاب بالفعل، وهي في إجازة، و...

تابع يقول: «إذن، بما أنها جنحتك الأولى فساكون رحيماً وأحكم عليك بتمضية الصباح معي في رياضة الغوص.»

«لحظة من فضلك.» كانا غادرا القاعة المبردة واتجها صوب المطعم، وتابعت: «حسبتُ في البداية أنك أنت المذنب الذي يسعى إلى عفوي، فلماذا إذن حوكمت أنا؟»

فتح لها الباب الزجاجي كي تمر، وفيما هما ينتظران قدوم نادلٍ، رفع كفّيه مستسلماً وقال: «فليكن ما تريدين.» ولما اقترب النادل خاطبه جيمس بنبرة حازمة لاحظتها جين إنما لم تضايقها كثيراً: «نود أن نتناول الفطور في الهواء الطلق. غرفة ٣٠٦ و٣٠٧.» ثم قادها من مرفقها عبر الأبواب الواسعة إلى الشرفة حيث كانت الطاولات المظللة موزعة حول حوض السباحة.

ألقت تحية الصباح على شخصين تعرفت إليهما في الطائرة وشعرت بالخجل يورد محيّاها وبخاصة حين رأت كارلا ترفع حاجبيها استغراباً لدخولها بصحبة جيمس. بعدما جلسا إلى إحدى الموائد وجاءها النادل بعصير برتقال طازج عاد رفيقها يسألها: «حسناً، بماذا ستحكمين؟»

رشفت بعض العصير وأشاحت عنه تنظر إلى الخليج وهي ما تزال تتردد في الاعتراف لنفسها بمدى الإثارة والانفعال اللذين تحسهما برفقته. وقالت أخيراً: «إني أحاول اختيار الحكم المناسب، وأظن أن اقتراحك قد يكون عقاباً كافياً ـ لأني لم أجرّب الغوص أبداً.» رمشت أهدابها ونظرت لحظة إلى صحنها ثم تطلعت إليه وأردفت: «ولكنني أعرف السباحة وأستطيع قطع حوضنا بالعرض، وفي إحدى المرات قطعته بالطول، مرة واحدة فقط.»

كان يرمقها باهتمام أبهجها، ثم ابتسم فجأة وقال وهو يسكب القهوة لهما: «إذن هناك أمور كثيرة أستطيع أن أعلمك إياها. ولكن قد يكون من الأفضل أن نبدأ بالتعرف إلى بعضنا البعض. أنا جيمس بارنارد.»

www.liilas.com ريما

«اسمي جين ويات.» واستغربت خجلها وكأنها مراهقة ساذجة. ثم رحبت بالتغيير حين جاء النادل بخبز وزبدة وتشكيلة من المربّيات والفاكهة. وقال جيمس بعدما قضم قطعة خبز بأسنانه الناصعة: «لم يخطر لي أن يكون اسمك جين، ولكنني قررت الآن بأنه يناسبك.»

فقالت تكيل له الصاع صاعين لتخفي استياءها: «وأنا لم أفكر فيك كجيمس أو كأي شيء آخر.»

تمعن فيها بحنان جعل ركبتيها تصطكان، وأجاب بذلك الصوت العميق الخفيض وهو يسحب يدها من تحت الطاولة ويحضنها بيده: «أنت كذّابة. كذّابة.» وكان في ذلك التصريح تملكية متناهية.

اتضح لها في ما بعد أنه معلّم مقنع، مع أنه شعر براحة معيّنة عندما اكتشف بأنها تتقن السباحة بخلاف ما تظاهرت، وقد اعترفت بأنها مارست السباحة على شواطىء بعض الجزر اليونانية.

قال معلقاً على ذلك: «لقد جعلتني أعتقد بأنك لا تتقنين السباحة ولكنك سبّاحة جيدة، بل لست سيئة بتاتاً بالنسبة إلى امرأة.»

كانا قد صعدا إلى سطح الماء بعد غوص قصير ووضعا أدواتهما على صخرة وراحا يموجان برفق مع التيار. رفضت جين أن تبتلع الطُعم، وأذهلها كم كانت راضية ومستمتعة بالعوم على السطح والتحديق في السماء الصافية، وأجابته: «هذا ما كنت سأقوله عنك بالضبط.»

«ماذا؟ بأني لست سيئاً بالنسبة إلى امرأة؟» ثم أمسك

كتفيها مهدداً وأردف: «أنا على استعداد تام لأبين لك خطأك الجوهري.»

لكنها تحررت منه بسرعة ورشاقة وغاصت في المياه الصافية حيث التقطت حصاة ناعمة وقذفتها صوبه بعد صعودها إلى السطح وقالت عائدة إلى حديثهما السابق: «لست سيئاً بالنسبة إلى رجل.»

ابتسم وتقدّم منها ثم سبحا يخبطان الماء ويحدقان في بعضهما بعضاً حتى شعرت بأعصاب جسمها ترتعش ابتهاجاً.

كل مظهر فيه بدا مصمماً لجذب البصر والاستحواذ عليه، جلده الأسمر الملفوح، شعر صدره النضر، قطرات الماء الملتصقة بجسمه المتألقة كالماس، شعره الأملس المحيط برأسه كقبعة، عيناه الملتمعتان بانجذاب لم يحاول إخفاءه. «هل أنت جاهزة للغوص من جديد؟» انتظر لحظة ولما لم يتلق جواباً أدرك سبب ترددها فقال يحثها: «نعم؟»

«نعم. أوه، نعم!» ردّت بسرعة وحماسة ندمت عليهما كونهما دلاّ على سذاجة.

لكن كان رائعاً وممتعاً أن تتعرف إلى عالم الغوص الساحر حتى في حيز محدود كهذا، حيث تتراكض أفواج الأسماك الصغيرة الزاهية الألوان، وتتماوج النباتات البحرية مع تماوج التيّار. وحدث أن شكلاً هائلاً ألقى عليهما ظلاً مخيفاً جعلها تشعر لأول مرة برعب حقيقي، إلا أن جيمس أمسك بيدها مطمئناً وضمّها إليه حتى مرّت السمكة الضخمة فوقهما.

ريما www.liilas.com

عندما خرجا أخيراً إلى السطح وجلسا على طوف، لفت كتفيها بمنشفة وقالت بوجه متورد: «هذه الرياضة توسع أفاق الذهن! شكراً، يا جيمس على اصطحابي.»

«لقد سرّني ذلك، ولم يكن بأي حال العقاب الذي هدّدت به.»

«خسارة.» قالت باغراء مقصود، وأخذت تجفف شعرها. «فذلك يبرر الغاية كلياً.»

«إذن، بوسعك أن تفكري بعقاب آخر يلائم الجريمة بالفعل.» ثم تغيّرت نبرته حين أردف وهو يجمع حوائجهما ويلقيها في الزورق الذي أقلهما: «هيا بنا، لقد أهلكني الجوع بعد كل تلك الرياضة. ما رأيك بشراب بارد قبل الغداء؟»

«فكرة رائعة.» ارتدت ثوباً قصيراً فوق المايوه المبلل وأعطته يدها فساعدها على القفز بخفة إلى الزورق. ولما أدار المحرك وجلس في مقدمه قال لها: «بوسعك الآن أن تحدثيني بقصة حياتك.»

أكلا غداءً شهياً تألف من سمك صدفي مطهو على البخار، وخبز وزبدة وسلطة وفاكهة. ثم استرخى جيمس على كرسيه برضا وقال: «إذن هذا هو كل شيء عنك. هذا أقصى ما تودين الكشف عنه: اسمك جين وبات. عمرك سبعة وعشرون عاماً، ليس لديك ارتباطات عاطفية ـ شيء يصعب تصديقه... وتمضين بمفردك إجازة راحة بعد موسم مرهق في تجارة الملابس.»

زمّت شفتيها باستياء متعمد وأجابت: «دار بوموند للنشر لا للاتجار بالملابس، إنها مؤسسة صحافية كبرى. في أي حال، هذا كل شيء عني تقريباً، وقد

جئت بمفردي لأن صديقتي أصيبت فجأة بالجدري.»

«لو سألتني عن عمرك لقلت بأنك في الرابعة والعشرين.»

«حقاً؟» ورفعت حاجبها الرفيع كي لا يعرف مقدار لهفتها لسماع مجاملاته.

«بل لقلت بأنك في الثالثة والعشرين.» ابتسم بمكر ثم نهض فجأة ومد لها يده فأخذتها دونما تفكير. وأردف قائلاً: «والآن سأصف لك دواء النوم فأنت ما تزالين متعبة من السفر الطويل، وقد أخذت من أشعة الشمس أكثر مما يلزم ليوم واحد.»

قادها عبر الشرفة ولدى مرورهما في المطعم لوّحت جين لبعض من اصدقائها. لن يخمنوا كيف كان قلبها يخفق محموماً بين ضلوعها. لقد مرّت بأوضاع كهذه من قبل إنما كانت تتعامل دائماً بسهولة. أما الآن فقد خانتها ثقتها بنفسها وتبخرت إرادتها فعجزت تماماً عن صدّ تقرباته.

وصلا إلى الرواق فأخذ جيمس مفتاح غرفتها وبدا غافلاً عن ارتجاف يدها. ولمّا فتح لها الباب قال: «تبدين مرهقة يا حلوتي، انعمي بقيلولة مريحة، وإذا أحسنت التصرف أعدك بعشاء فاخر.»

وقبل أن تعي ما يحصل لها وجدت نفسها بمفردها داخل غرفتها وقد سُلب منها زمام القرار. لم تدر هل يجب أن تضحك أم تبكي. لكنها استسلمت في النهاية لحاجة أكثر إلحاحاً ألا وهي الرقاد.

بدا أمراً حتمياً بأنهما سيتشاركان مائدة واحدة في

www.liilas.com ريما

المطعم، ولذا قادهما النادل إلى واحدة بقرب نافذة مفتوحة يُسمع عبرها خرير مياه قريبة وترى منها السماء المرصعة بالنجوم.

كانت تعلم أنها تبدو جميلة وأنيقة وقد أكّدت لها ذلك نظرات الاهتمام التي صوّبها إليها النزلاء الآخرون. كانت تنورتها متوسطة الطول، يمتزج فيها اللون الوردي بالأخضر، وتعلوها قميص حريرية ذات حمّالتين رفيعتين، إضافة إلى حزام عريض أبرز خصرها النحيل، وقرطين مذهبيْن يخشخشان كلما حركت رأسها.

أما شعرها الذي غسلته بعناية فائقة فقد استرسل معطراً ولمّاعاً على كتفيها مثل طبقات حريرية شفافة. ومن ناحية الماكياج اكتفت بظلال عيون برونزي، وأحمر شفاه، عزّز جمال شفتيها، ورشة بودرة خفيفة على بشرتها التي اكتسبت لوناً خوخياً بفعل الشمس. وأخيراً رشّت عطراً أناعم الأريج، وحين سمعت النقر على الباب استدارت بسرعة من أمام المرآة وركضت لتفتحه.

كان يستند إلى جدار الرواق ولكنه استقام حين فتحت الباب ووقف يتأملها دقيقة، بدت لها لذيذة ولا متناهية. ثم ابتسم ولمس شعرها باصبعه: «جاهزة؟»

أومأت، لعجزها عن الكلام ثم عادت إلى الحجرة لتجلب حقيبتها اليدوية ولكن صورته وُسمت في ذاكرتها إلى الأبد. بنطال داكن، وحذاء أسود، وقميص بيضاء وربطة عنق مخططة. وقد لاحظت باستحسان أنه يزين كُمَيْ قميصه بزرّين رابطين ذهبيين ويضع كولونيا رائعة الأريج.

«خسارة...» علّق جيمس. عندما انتهيا من الطعام، وبدا

طبيعياً أن يتمشيا على شاطىء البحر. رفعت بصرها إلى السماء مستمتعة بملامسة الرمل لأصابع قدميها. وأحست للحظة بأنه قال شيئاً إلا أنها كانت مأخوذة بالليل والنجوم وشجر النخيل. «يجب أن أغادر غداً.»

«أوه! يا لجمال هذه المشاهد!»

استدار صوبها وضغط على كتفيها بأصابعه: «لم تسمعي شيئاً مما قلت. هل الأمر لا يعنيك إلى هذا الحد؟» كان يحاول كتمان مشاعره فاخترقتها نبرته المنفعلة.

«ماذا؟» أحست بتغيّر مفاجىء في الموقف، فقبل لحظة كانت في قمة الرخاء والآن تشعر بحيرة محددة: «ماذا قلت، يا جيمس؟»

أجاب بنفاد صبر بدأ يطغى على انزعاجه: «كنت أعرب عن مدى أسفي لأني مضطر لمتابعة الرحيل غداً صباحاً.»

«متابعة الرحيل؟» داهمها شعور لم تعرف بأنه الخوف: «ماذا تعني بحق السماء؟»

تابع سيره وركل الرمل بقدمه: «أقصد أني حجزت في هذا الفندق لليلتين فقط. عليّ أن أنتقل بعد ذلك إلى طرف الجزيرة الآخر، فشركتي تملك بيتاً هناك، و...»

«سترحل؟ ستغادر؟» شعرت بالحقيقة تصفع وجهها.

أشار برأسه إلى الفندق وأردف بسخرية: «هناك رجلان على الأقل، كانا يلتهمانك بأنظارهما منذ وصولنا.»

فوجئت بدموعها التي ردتها إلى محجريها، وحاولت أن تجيب بمزاح: «أجل، لو أني فكرت بالأمر لكان بوسعي أن أبلق عصيراً على أحدهما. على القصير السمين، لا على الآخر النحيل، فما رأيك؟»

www.liilas.com ريما

«أنت تفضلين السمين، أليس كذلك؟ ربما استطعت، بعد عودتنا إلى الفندق، أن تجعليه يتعثر على الشرفة وتلقي به في حوض السباحة، وتكتشفين لحسن حظك بأنه لا يعرف السباحة.»

ضحكت وقالت: «جيمس، تبدو... أوه، لا يعقل أن تغار منه؟»

«ولم لا؟»

«إنه أصلع ومن دون ذقن و...» استدارت ووضعت يديها على كتفيه ثم نظرت في وجهه وكتمت رغبة في إزالة العبوس عن جبهته.

أجابها: «هذه العيوب لا تهم إذا انجذبت إليه ولو قليلاً.»

«لا أدري، هل يجب أن أشعر بالغرور أم بالمهانة، هل تظن بأني كنت سأرغب برفقته حتى لو لم ألتق بك؟ أتخيل بأن السهرات المثيرة، في رأيه، تقتصر على لعب الداما.»

«أنت مخطئة، يا حلوتي. فكل الرجال حين ينظرون إليك تتكوّن لديهم فكرة واحدة عمّا يشكل سهرة مثيرة. ولن يفكروا كثيراً لدى وجود امرأة مثلك...»

«أهكذا تراني؟ امرأة لعوب؟» سألته بصوت لاهث ويداها تطوقان عنقه.

«إن كنت لا تدركين ذلك فهذا يدل على أني بدأت أفقد براعتي العاطفية.» ابتسم متنهداً وأزاح شعرها عن جبينها، وشعرت بأنفاسه تدغدغ بشرتها بحب وإغراء. وأردف قائلاً: «أريدك بجنون لم أتوقع أن أصاب به. أجل، أنا مفتون بك يا جين ويات ولا أعرف بتاتاً كيف سنعالج هذا

الوضع.» ثم لثمها. وهذه المرة باستكشاف لطيف جعلها تتنهد بصمت.

«جيمس...» كانت ترتعش وتتشبث به وقد عجزت ساقاها عن حملها.

«جين، يا حبيبتي، أخشى... إن الحقيقة، الأمر يبدو غير معقول ونحن لم نعرف بعضنا بعضاً إلا منذ ساعات معدودة، أظن... لا، أنا لا أظن، أنا أعرف بأني وقعت في حبك، وأمل بيأس بأنك تشعرين نحوي بالحب نفسه...»

هكذا... هكذا حصل كل شيء منذ أقل من أسبوع.

الآن، عادت جين تتناول الرواية التي ينبغي أن تكملها ولكن عندما رأت أنها لم تقرأ منها سوى صفحات قليلة هزت رأسها باستياء. وفجأة امتدت يده السمراء وسحبت الكتاب منها فالتفتت إليه بابتسامة مغرية واندست في الفراش.

وقال لها: «تعلمين بالطبع أنه لم يبق لدينا سوى أيام معدودة لنتنعم بهذا المكان الفخم؟ ما رأيك في أن نتصل برؤسائنا ونزعم لهم أننا أصبنا بالمرض، ونحتاج إلى أسبوع للشفاء.؟»

«أوه، أجل؟ وماذا نقول لهم عن المرض... هل في نيتك أن توضح؟ مرض الحب ربما.»

«إذا أردنا أن نكون صادقين.»

«لا اعتقد أنه من الضروري أن نخبرهم عن الجرة وغطائها. سأعلمهم أني سأتأخر عدة أيام... هل تعتقد أنهم سيطردوني من العمل؟»

«هبي إنك طُردت. هل سيهمك ذلك كثيراً؟ أحب أن أفكر بز...»

فقاطعته بغضب مصطنع: «لن يهمني؟ بالطبع سيهمني ذلك! ألم أخبرك بأني أطمح إلى منصب رئاسة التحرير إذا ما قررت السيدة ديفير أن تتنحى؟ فأنا لم أعمل كل تلك الساعات الإضافية وأشتغل بكدٍ سنوات عدّة كي أضيّع فرصتي الكبرى، يا جيمس بارنارد!»

«كان يجب أن تخبريني، إذ لم أعلم بأني وقعت في حب امرأة طموحة إلى هذا الحد.»

«كما سبق وقلت، هناك أمور كثيرة لا تعرفها عني.»

«كل ما أريد معرفته هو أنك تحبينني بقدر ما أحبك.»

ردّت بجدية وتركيز: «ألم أبيّن لك ذلك؟ لماذا تظنني تزوجتك، يا جيمس؟ لأني أحبك وأعتزم أن أبيّن لك مقدار هذا الحب لسائر أيام حياتي.»

ريما www.liilas.com

الفصل الثاني

تقدم منها جيمس وكانت تقف أمام المرآة تمشط شعرها وتعقصه إلى الوراء في تسريحة فرنسية تعتمدها في أوقات العمل. انحنى حتى لامس خدّه خدّها، وقال وعيناه تبرقان باقناع نكيّ: «كان يجب أن تتصلي بالمكتب وتعلميهم بأنك في حاجة لبضعة أيام أخرى...»

«جيمس!» احتجت بصوت لاهث واتسعت عيناها ذعراً ثم سارعت إلى تثبيت شعرها بدبوسين كانت تمسكهما بأسنانها وأردفت: «جيمس! إنك لن تجرؤ!»

«لن أجرؤ على ماذا؟» أدار بسرعة جسمها النحيل. «على ماذا؟» كرّر السؤال وهو يعانقها، فتنهدت باسترخاء وأخذت تبادله النظرات وتمرر أصابعها في شعره الكث.

سيكون سهلاً جداً أن تستسلم لهتاف مشاعرها، فهذا ما تتوق إليه كثيراً ولكن...

«جيمس!» هتفت بذعر وانفلتت منه فجأة: «لا تفعل ذلك، أرجوك! أنا أطلب منك أن تساعدني لا أن تعرقل طريقي.»

على الرغم من اعتراضها أدركت بأنها سحرته لأنه وقف يتأملها بشوق. سارعت إلى تبديل ثيابها وكانت مؤلفة من تنورة سوداء مشقوقة الجنب وكنزة صوفية مزّرتها حول رأسها بلطف كي لا تفسد تسريحتها المتقنة. وكانت طوال الوقت شاعرةً بنظراته الصقرية تراقب حركاتها وسكناتها.

www.liilas.com

بدأت تدندن ثم توقفت وواجهته بتوسل: «حبيبي، أرجوك أن تساعدني.»

فردّ مبتسماً: «ولكنني أساعدك.»

«تعرف ماذا أعني. يجب أن أذهب اليوم إلى عملي!»

«يجب أن تذهبي؟» تكلم بجدية ووجوم غير متوقعين فارتبكت وأخفت ارتباكها بضحكة قصيرة حائرة.

«بالطبع أنا مضطرة... وأنت تعلم ذلك. لا أقدر أن أجازف بالعودة إلى بومونت لأكتشف بأنهم منحوا الترقية لمساعدتي.»

«وهل سيكون ذلك... كارثة؟»

«سيكون كارثة بالنسبة إلي.» ضايقها تعليقه، وقد كانت قبل لحظات مفعمةً بالدفء والدلال. استدارت إلى المرآة وشرعت تضع ماكياجاً خفيفاً. أشاح هو بدوره، فرمقته بنظرة اتهامية وقالت: «سيكون كارثة كاملة.» ولمحته عبر المرآة يرتدي قميصاً فتابعت: «ألن تضايق لو وجدت نفسك في الوضع ذاته؟»

لم يجب بسرعة. انهمك في تزرير القميص والكمين ثم ردّ بنبرة متأملة: «لا أظن أن ذلك يضايقني، ولكنني لم أعتبر نفسي قط رجلاً طموحاً.»

أضحكها جوابه إذ بدا لها سخيفاً وغريباً: «أوه، يا جيمس! إن الرجال لا يتبوأون المناصب التنفيذية في سن الخامسة والثلاثين إلا إذا كان الطموح دافعهم.»

كان مزاجه قد لان قليلاً فابتسم لها عبر المرآة وهو يعقد ربطة عنقه: «آه، ولكن... الوصول إلى منصب كهذا قد يكون بسبب الألمعية المحضة، ألا توافقينني الرأي؟» ثم

مرّر الفرشاة في شعره وأردف: «الألمعية لا الطموح.»

«ولا تنس التواضع.»

«بالطبع. التواضع أيضاً.» ثم ساعدها في ارتداء سترتها وقال: «في أي حال، هناك اختلاف تام بين الحالتين.»

قطب حاجبيه بتساؤل، وزيّنت شفتيها بلون زهري فاتح: «اختلاف تام؟ كيف؟ هل لك أن توضّح وجه التباين؟»

«إنه شيء يصعب شرحه... من ناحية ثانية إنه أساسي إلى حد لا يحتاج معه إلى تعريف. و... اصمتي! لا تتفوهي بشيء!» كانت عيناه تتألقان بمرح ماكر فزال توترها على الرغم منها. «أما تزالين مصرة على العودة اليوم إلى العمل؟» ولما أومأت برأسها قال متنهداً بعمق: «حسناً، من الخير إذن أن نخرج. سوف أوصلك إلى المكتب قبل أي شيء آخر، فأنا بشوق للتعرف إلى صديقتك لوتي الرائعة، التي سمعت عنها الكثير.»

«أجل، قد يكون لديكما العديد من القواسم المشتركة.»

«كلانا يتفانى في حبك، أهذا ما تقصدين؟»

«لا، لم أعن هذا ولكنك قد تجد بأن لديكما موقفاً تقليدياً واحداً، تجاه عمل الزوجات خارج المنزل. فلوتي لا تخفي تفضيلها الحياة العائلية.»

«حقاً؟» وأردف بلين وابتسام: «هل ستعتبرينني تقليدياً إذا قلت بأنك تبدين رائعة عندما تغضبين؟»

«ساعتبرك سخيفاً. ثم أني لست غاضبة بل مستغربة.»

«إذن، منزعجة.» راقبها بإمعان وهي تضع اللمسات التجميلية الأخيرة على محياها، ولما حملت حقيبتها، وقف خلفها بحيث نظرا معاً إلى المرآة وقال: «ذلك لا يغير

www.ifias.com

الحقيقة، وهي أنك امرأة بارعة الجمال يا سيدة بارنارد.»

«أحقاً؟» حدّقت فيه بعينين رطبتين ومررت أصابعها على وجنتيه ونقنه.

قال بصوت أكثر عمقاً وانخفاضاً: «لا ريب أنك تدركين هذه الحقيقة، ولكن إذا لم تخرجي الآن فان بومونت لن ترى اليوم مراسلتها المفضلة.»

ظلت ابتسامتها الخفيفة تلازم محيّاها وهما يشقان طريقهما عبر شوارع لندن المزدحمة في هذه الساعة. وفكرت جين باندهاش وحيرة كيف أنهما، منذ شهر فقط، لم يكونا شاعرين بوجود بعضهما البعض والآن صارا زوجين مستقرين بعد مرور شهر العسل. لم تكن لتصدّق بأن أمراً كهذا سيحصل معها، فهي لا تؤمن بالأساطير، ولكن لا يسعها الآن أن تنكر صحتها وأن تعيش سعادة كبرى لا تصدّق. إنها متعبة، أيضاً، وهذا طبيعي في الحب الزوجي، مع أن لا أحد أخبرها عن هذه الناحية من الزواج. تورّد وجهها قليلاً وتنهدت... أجل، إنها تعيش سعادة مثالية.

عادت إلى الواقع عندما ارتجت السيارة وقالت بسرعة: «جيمس، اتجه يساراً عند هذا المنعطف كي نهبط إلى المرآب المخصص لأسرة الدار.»

مع عودتها إلى محيطها المألوف بدأ قلبها يخفق وكأنما من خوف. ولمّا فتح لها جيمس باب السيارة، استشعر حالها فوراً وسألها بلطف شديد: «هل تشعرين بالتوتر؟»

«ربما، قليلاً.»

«هل تفضلين أن تدخلي بمفردك؟»

قبضت على يده وقالت: «إياك وأن تتركني وحدي! فانا

بحاجة ماسة لدعمك. كذلك أريد أن أتباهى بك إذ يجب أن أقدّم لهم سبباً وجيهاً لجنوني. لا أريد المساس بتواضعك. إنما... أريد أن أراقب الفتيات الأخريات وهن يذبن إعجاباً بوسامتك... كان هذا أحد أهدافي الأساسية لزواجي منك.»

ولما انفتح باب المصعد بعد بضع دقائق وخرجا منه معاً، ما كان لأحد بأن يخمن مدى حبهما لبعضهما البعض.

قالت لوتي باشراق وهي تراوح بانفعال بين ابريق القهوة والفناجين: «لا تسألا عن الضجّة التي أحدثها نبأ زواجكما المفاجيء.» كانت جين تجلس على حافة مكتبها تؤرجح ساقيها في الهواء فيما استرخى جيمس على مقعد مريح مراقباً إياها باعجاب لا يخلو من بعض السخرية. ناولته لوتي فنجان قهوة ثم جلست إلى مكتبها وأردفت: «لقد ضجّ المكان بالتكهنات. هل صحيح أنكما التقيتما لأول مرة على متن الطائرة؟»

أجابها جيمس وعيناه مركزتان على زوجته: «لقد رمت نفسها عليّ يا لوتي، واستحوذت بالقوة على اهتمامي.»

«حقاً؟» برقت عيناها خلف نظارتها المذهبة وأردفت: «ولكن لا يبدو أنك كنت بحاجة للكثير من التشجيع.»

«شكراً لدعمك، يا لوتي، هو يتهمني بأني قذفته بكوب عصير.»

فقالت المرأة بمرح: «هذه لعمري طريقة يائسة للوصول إلى الهدف.»

وضع جيمس فنجانه الفارغ على المكتب مشيراً بذلك إلى عزمه على الانصراف، وقال لها: «هل عرفت يا لوتي بأن والديها طارا إلينا ليمنعا زواجنا، في حين لم

www.liilas.com

أجد أحداً يرعى مصالحي؟ كنت حَمَلاً يُساق إلى الذبح.»

علّقت لوتي متنهدة: «لا بدّ أنه كان أكثر الأعراس رومانسية!» ونظرت أمامها كالحالمة، فلم تلاحظ نظرات التسلي التي تبادلها العروسان. وأردفت تخاطب جين: «قالت أمك إنكما التقطتما صوراً رائعة، فهل تحملين بعضاً منها؟»

«أجل، جئت بها صدفةً.» أخرجت جين من حقيبتها محفظة كبيرة ووضعتها أمام لوتي وتابعت: «لقد صوّرنا الاحتفال على شريط فيديو... سنعرضه عليكم في أقرب فرصة.»

تفحصت لوتي الصور وعلّقت بشيء من الأسى: «ما أجمل فستان زفافك!»

شعرت جين بالذنب من أسى صديقتها التي فاتها حضور العرس مع أنه كان من المستحيل عليها أن تحضره، وسارعت إلى القول: «توجد في جزر الكاريبي محلات أزياء رائعة وعصرية، فهي ليست مجرد شواطىء وأشجار نخيل... كان لون الفستان عاجياً وقد زُيّن خصره وحاشيته بالدونتيل. وزيّنتُ شعري بزهر الفرانغباني...» كانت يدها اليسرى ممدودة لتبرز خاتمها الماسيّ المرصع بالزمرد وأردفت: «لقد ابتاعه لي جيمس في نيويورك... عندما توقفنا هناك على طريق العودة.»

تأملته لوتي دونما حسد: «إنه رائع. يناسبك تماماً.»

نهض جيمس قائلاً: «سأنصرف الآن وأترككما تتبادلان آيات الاعجاب. سأمكث في مكتبي لبعض الوقت ثم أذهب إلى شقتك يا جين وأجلب قسماً من

أغراضك.» ثم أردف موضحاً للوتي: «هكذا أمضينا الوقت منذ رجوعنا إلى الديار، نحمل العلب والصناديق ذهاباً وإياباً.»

«آه، إذن ستقيمان في...»

أكملت جين عنها: «في شقة جيمس، فهي أكبر بكثير من شقتي، برغم أنها أبعد مسافة عن محطة المترو ولكن...»

«أستأذنكما بالانصراف. إلى اللقاء، يا لوتي، ننتظر زيارتك في أمسية قريبة لنريك شريط الفيديو.» ثم طبع قبلة على وجنة جين: «إذن سنلتقي مساءً.»

«أجل، سأتدبر أمر عودتي.» ولكنها ترددت في وداعه فأضافت: «سأسير معك حتى المصعد.»

قبل أن يصلا إلى الباب انفتح فجأة، ووقف رجل متردداً على العتبة لدى وقوع بصره على جيمس.

«أوه، آرثر.» قالت جين بترحيب مصطنع وقد ارتبكت واحمرّ وجهها وتمنت لو كان بإمكانها تأجيل اللقاء ريثما تتكلم مع زوجها على حدة. وتابعت متوردة الوجه: «يسرني أنك أتيت يا آرثر. جيمس، أود أن أعرفك إلى صديق مخلص، آرثر ديفيز، المسؤول المالي في المؤسسة و... آرثر، لقد سمعت ولا ريب بأننا تزوجنا خلال الإجازة.»

رفّت أهداب آرثر من خلف نظارته وقال: «بالطبع. لقد أثرتما ضجّة كبيرة، إذ لم يكن زواجكما متوقعاً أبداً، ولكنني، أتمنى لكما، بالطبع، كل سعادة ورخاء.»

تصافح الرجلان وقارنت جين بينهما: واحد طويل القامة، مستقيم الظهر أسود الشعر، والآخر أصلع الرأس

www.ithas.com

مقوس الظهر، مع أن الفارق بين عمريهما لا يتجاوز بضع سنوات و...

قال جيمس: «يجب أن أمضي، لا ترهقوا أنفسكم بالعمل.»

قالت جين التي رغبت في أن تصرف معه بضع لحظات إضافية: «سأمشي معك حتى المصعد.» ثم ابتسمت لآرثر بشيء من الاغراء الذي تحتفظ به عادة لزوجها، وقالت: «آرثر، سوف تنتظرني، أليس كذلك؟ هناك أشياء أود... سأعود بسرعة.»

سرّها أنها استطاعت الاحتفاظ بعريسها وقتاً أطول، وسرّها أكثر، أن صحن الدرج كان خالياً من الموظفين. لمست أصابعه وتمتمت باسمه بصوت خافت ورفعت وجهها استعداداً لقبلة الوداع، ولكنه رفع حاجبيه بتساؤل، ورأت في عينيه وميضاً ساخراً وقال مقلداً نبرتها: «آرثر، سوف تنتظرني، أليس كذلك؟ هناك أشياء أود... أن أقولها لك. سأعود بسرعة، يا آرثر.» ثم كبس زر المصعد بنفاد صبر.

أذهلها تصرفه ولكنها أطلقت ضحكة قصيرة وقالت: «جيمس؟» ثم عبست ولمست خدّه.

فهز كتفيه وقال: «لا عليك مني!»

«أما تزال تشعر بالغيرة؟»

«أجل... أعترف بذلك.» توقف المصعد ولما انفتح بابه جذبها معه إلى الداخل وأردف: «أغار من مطلق شخص عرفك قبلي بيوم واحد.» وانغلق الباب عليهما.

لم تدر هل تضحك أم تعترض. ولكن عملها ينتظرها... وآرثر أيضاً... رمقته بعينيها المغريتين وقالت: «جيمس، يجب أن أعود إلى المكتب. سوف يتساءلون...»

«فليتساءلوا.»

غمرها بذراعيه فتمتمت: «توقف! قد يرانا أحد.»

«لا يهمني.»

«ولكنني أهتم... ينبغي أن... أوه، جيمس!» كان مصمماً على اسكاتها. ثم أرخى ذراعيه وقال: «سأدعك تخرجين، إنما بشرط!»

«جيمس، يجب أن أذهب.» أخرجت منديلها ومسحت أحمر الشفاه عن فمه ثم حاولت إصلاح هندامها: «ماذا تقصد؟»

«أتتذكرين ما حصل قُبَيْل مجيئنا؟ عندما اقترحتُ عليك أن تبقي في البيت يوماً آخر؟ وكنت تتصرفين بمنتهى الرقة؟»

«هل تصرفت كذلك؟»

احمرّت لشعورها بالذنب وحاولت أن تتجنب نظراته، بل إنها رمقت باب المصعد المغلق خشية أن يكون مفتوحاً وبالتالي يشاهد جميع العاملين في المؤسسة هذا الدور العاطفي المسلي الذي يؤديانه.

قال: «تعرفين تماماً ما أقصد.»

«أرجوك أن تخرجني! أرجوك!» مدت يدها إلى زرّ المصعد ولكنه أمسكها.

قال: «سأخرجك حالما تعطينني وعداً.»

«لكنك لم تخبرني ماذا...»

«أريد أن نكرّر ذلك الأداء إنما بشكل مغاير.» فهمت قصده فاتسعت عيناها الخضراوان، فأردف ضاحكاً: «أرى أنك أدركت مطلبي، ولا حاجة لأن تبدي مصدومة إلى هذا الحد.»

«سأخرج.» فلم يعترضها، وقال بعدما ضغط على الزر وانفتح الباب: «هل تعدينني؟»

www.liilas.com

«أجل، أعدك.» كانت تلهث وتحس ارتباكاً وخجلاً بسيطاً كونها لم تألف بعد، بعض نواحي الزواج المتطلبة. ولما صارت آمنة في الممر التفتت صوبه.

رفع اصبعه وقال قبل أن يغلق الباب: «تذكري وعدك. سأطالبك الليلة بوفائه.»

عادت إلى المكتب محتقنة الوجه ومتجنبة النظر إلى آرثر. ثم شعرت بامتنان للوتي حينما جهزت القهوة والفناجين.

حرّك آرثر السكر في قهوته ثم رشف منها وأعاد الفنجان إلى زاوية الطاولة، قائلاً: «من المؤكد أن الحياة الزوجية تلائمك، يا جين. فأنت تبدين مزهرة.»

كانت مدركة تماماً سبب اشراقها فأحست بالخجل وأشاحت عنه وتشاغلت بالبحث عن بعض الأوراق في خزانة الملفات ثم أجابت: «هذا من جراء الشمس والبحر و...» وهنا أنقذتها لوتي ثانية حين ناولت الصور لآرثر.

قالت: «إليك بهذه اللقطات الرائعة، يا سيد ديفيز. من المؤكد أنك تود رؤيتها.» وعادت تنحني على الآلة الكاتبة.

نظر آرثر بسرعة إلى الصور: «إنها حقاً جذّابة.»

ثم نهض وقال: «أردت أن أعلمك، يا جين، بأن رؤساء القسم سيعقدون اجتماعاً يوم الثلاثاء، وبما أنك المسؤولة في غياب السيدة ديفير فالإدارة تتوقع حضورك. فضّلت أن أخبرك، مع أنك ستتسلمين إشعاراً بذلك. أظن أن الاجتماع سيعقد في الثانية والنصف.» ابتسم لها ثانية وأردف: «يسرني أن أراك ثانية يا جين... لقد افتقدتك.» ثم خرج وأغلق الباب خلفه.

رانت لحظة صمت قبل أن تُعلّق لوتي: «مسكين سيد ديفيز.»

سألتها جين متلهفة، تتمنى أن تنكر لوتي ظنونها: «لماذا تقولين هذا، يا لوتي؟ فالمسكنة ليست من صفات آرثر.»

«كلا... كان ذلك سخافة مني. ولكنك تعلمين جيداً بأنه كان يميل إليك منذ أن بدأت العمل هنا كمتدربة، في الثامنة عشرة من العمر.»

تنهدت جين باعياء وقالت: «أجل، أحسبني أعلم ذلك. ولكن لم يكن هناك أي شيء جدي في علاقتنا... مجرد الذهاب لحضور مسرحية مرة أو مرتين في السنة.»

«أعرف هذا، ولكني أرجح بأن ذينك الموعدين كانا منارة حياته.»

علّقت جين وقد شعرت باضطراب تعذّر عليها تحديده: «أمل بحرارة أن لا يكون الأمر كذلك يا لوتي، فهذا يعني أنه يعيش لحياة جدّ موحشة.»

«هو يعيش حياة كهذه بالفعل، يا عزيزتي. ألم تحدثيني مرة عن أمه العجوز الرهيبة؟»

«يا إلهي! هل قلت إنها رهيبة؟ لا بد أنني فعلت. لا ريب أنها تسيطر على آرثر سيطرة تامة وقد ارتابت بي كثيراً. أتساءل إن كانت تعتقد فعلاً بأني أسعى إلى الزواج منه؟»

«لا أظن أنه من النوع الذي يُحبذ الزواج.»

«حتى لو كان من هذا النوع، فمن غير المحتمل أن يتزوجني، و...»

«ما دمنا نتكلم عن الأمهات، اخبريني عن ردة فعل والديك

www.liilas.com

كيف كان ردّ فعلهما عندما هاتفتهما وأعلمتهما بأنك ستتزوجين؟»

«أصيبا بذعر كامل... وكان أمراً متوقعاً، إن جيمس لم يبالغ حين قال بأنهما طارا إلينا كي يمنعا زواجنا. ولكن ما أن...» توقفت لحظة وهي تخرج ملفاً من الخزانة ورمقت النافذة بنظرات حالمة.

كتمت لوتي ضحكة تولّدت في حلقها وتابعت عنها: «ولكن ما أن تعرفا إلى جيمس حتى تهاوت اعتراضاتهما.»

«ليس تماماً. حاولا جهدهما أن يقنعانا بتأجيل الزواج. ولكن عندما رأيا كيف تسير الأمور... تحققا أخيراً من عبث المعارضة واستسلما بطيب خاطر.»

«لقد انسحرا بشخصية جيمس بارنارد. أهذا ما تقصدين؟ أنا انسحرت به أيضاً.»

«أجل هذا ما أعنيه بالضبط. أتعلمين، يا لوتي، لا أستطيع أن أتذكر شكل الحياة ولونها قبل أن ألتقي به... هل يعقل هذا، في رأيك؟»

«أجل، أعتقد أن غالبيتنا يشعرن هذا الشعور في البداية.» تنهدت ووضعت ورقة بيضاء أخرى في آلة الطباعة ثم أردفت: «المشكلة تكمن في الحفاظ على الحب.»

لكن جين لم تسمعها إذ كانت تركز على حسابات تتعلق بأسعار السلع ومواصفاتها، وكانت تتساءل بخواء يائس ومؤلم: كيف ستعيش من دون جيمس سحابة نهار كامل؟ بعد ذلك... ارتعشت من جرّاء تخيلاتها.

ريما www.liilas.com

الفصل الثالث

كان أصيل يوم سبتٍ والازدحام رهيباً، ولكن حتى الرحلة الموحشة إلى البيت لم تقدر أن تخمد تشوق جين. لمحت صورتها منعكسة على زجاج نافذة دلكنة، ابتسمت لنفسها وهي تجلس محشورة في احدى زوايا القطار المزدحم. ثم رفعت بصرها بحرج، فتأكد لها بأن الرجل الواقف بقربها كان يرد على ابتسامتها بتجاوب وقح. ولذا شعرت بالارتياح عندما تمهل القطار المقترب من المحطة التي ستنزل فيها. نهضت واقفة بكل ما لديها من سيطرة ذاتية وهي تتابط حقيبتها.

قال الرجل بصوت خفيض أراده أن يوحي بحميمية معينة: «لا أفكر بالضبط أين التقينا من قبل.»

«أنا أكيدة بأننا لم نلتق قط.» ثم تمسكت بالعمود بيدها اليسرى كي يرى خاتم زواجها بوضوح.

«خسارة!» ابتسم وهزّ كتفيه بأسف ولكنه لم يحاول أن يعيقها أو يلحق بها لدى هبوطها من القطار. كان على الأرجح متمرساً في عبارات التقرب ومعتاداً على أجوبة الزجر... أو التشجيع... ويتقبل الوضعين على نحوٍ فلسفي.

مشت بسرعة على الطريق المخيم عليه الهدوء وهي تشد معطفها على جسمها اتقاءً للهواء القارس. من المزعج أن شقة جيمس في مبنى تتنردن وتبعد كثيراً عن المحطة بخلاف شقتها القديمة. إلا أنها أرحب بكثير وأكثر فخامة

www.liilas.com

و... وهنا عبرت البوابة الزجاجية الأنيقة ولوّحت تحيّي الحاجب، الذي خرج لتوّه من حجرته، وهي تضغط على زرّ المصعد.

فور دخولها الشقة تناهى إليها صوت جيمس يجلس على الأريكة وظهره إليها. إجتاحها حنان عظيم، فوقفت لحظة تمتص بهجة المشهد الخالصة. إنه بيتهما. منزلهما موطنهما، وكان كذلك منذ أول يوم استقرا فيه، ليس لأنه أنيق الأثاث أو ناعم الأضواء بل لأنه يُمثل جيمس، الرجل الذي تزوجته، فهو ملازم للمنزل، وحيث يكون هو، تكون الديار.

اقتربت منه ووضعت خدّها على خدّه كي تغلّفه بموجة من العطر الناعم الذي تضمخت به من أجله قبل أن تغادر مكتبها، وقالت بانفعال وهي تحاول التكهن برد فعله إزاء الخبر السار خاصتها: «مرحباً! هل أمضيت نهاراً جميلاً؟ هل افتقدتني؟»

طوّق عنقها وقال بدفء: «أفتقدك دائماً، ولا سيّما في غيابك. تعالي واجلسي إلى جانبي لأشرح لك مدى شوقي إليك.»

«لحظة واحدة.» نزعت سترتها وحذاءها ودارت حول الأريكة ثم استلقت عليها مُسنِدة رأسها إليه وقالت وهي تداعب خدّه: «كم هو ممتع وجود المرء في بيته.» وأغمضت عينيها متأوهة من فرط البهجة.

إبتسم لها ثم زمّ شفتيه وقال عابساً: «هل خطر لك أنه لولا مؤسسة بومونت لاستطعنا تمضية نهايات أسابيع كاملة معاً بدل أن...؟»

فتحت عينيها حالما سمعت اسم شركتها. فطوال بعد الظهر كانت تجيش بالخبر السعيد؛ والآن صارت تغلي، لم تلاحظ بتاتاً انتقاده المبطن وبدأت تقول: «على ذكر المؤسسة، لقد تلقيت لتوي أروع خبر...»

قال متظاهراً بالتفكير: «دعيني أخمن. آه، لقد استطعتم التخلص من معاطف الفراء التي ما برحت تملأ خزائنكم من العام ١٩٢٨!»

«غلط.» استقامت جالسة وشرعت تنزع قرطيها وتابعت: «ثم إننا توقفنا عن الترويج لمعاطف الفراء منذ زمن طويل، ولكن حاول مرة أخرى.»

راقبها جيمس باهتمام ثم ابتسم ومرّر أصابعه على كتفيها الناعمتين، وغمغم: «هذا ظلم!» ولما أحسّ بارتعاشها أردف: «هذا ما أشعره بالضبط.» ثم همس وكأن هناك من يتنصت عليهما: «إنك تتقصدين إثارتي... لقد طرحت عليّ سؤالاً ثم تعمدت تشتيت ذهني، أليس كذلك؟ ولكن دعيني أخمّن الخبر السعيد... آه لقد وجد المفتشون تناقضاً كبيراً في جداول الحسابات وهم الآن يستجوبون مسؤولكم المالي.»

«آه منك...» ثم طبعت قبلة صغيرة على ذقنه وتابعت: «أنت مقرف، يا جيمس بارنارد. فأي ذنب اقترفه آرثر المسكين بحقك؟» كانا يتمازحان بالطبع ولكنها لمست في صوته شيئاً من الحدة والتحفظ عندما أجاب: «هذا بالضبط ما أود أن أعرفه، يا حلوتي.»

«في أي حال، أنت لم تخمن الحقيقة. ثم اعلم بأن آرثر رجل ثري جداً، أو على الأقل سيصبح كذلك عندما

www.liilas.com

يرث أمه التي تمتلك أراضي وعقارات كثيرة في لندن.»

«لن أخوض في موضوع آرثر فهو في هذه اللحظة أبعد الناس عن ذهني.»

«أنت الذي فتحت سيرته، ألم تفعل؟ في أي حال سأستحم ولذا لن تضطر لتضيع الوقت في التخمين.»

«أتراك تتحدينني؟»

«بالطبع لا.» وابتسمت متألقة العينين لاهثة الأنفاس.

«ولكن هذا يذكرني بحادثة... ليست ببعيدة. آه، أرى أنك لا تزالين خجولة.»

ابتعدت برشاقة، وقذفته بقميصها وعبرت الغرفة وهي تلقي بأشيائها هنا وهناك: «سأعاقبك وأجعلك تنتظر. بوسعك أن تموت من الفضول قبل أن... في أي حال...» ولم تكمل، ارتدت قبعتها الواقية من الماء واستحمت برذاذ الماء الدافىء. ولما انتهت وخرجت من غرفة الحمام، كان ما يزال يجلس على الكرسي يراقبها. تناولت منشفة دافئة ولفت بها جسمها جيداً ثم سحبت الدبابيس من شعرها وقالت: «فيما كنت عائدة إلى البيت وعدت نفسي بأن نخرج للعشاء. وعدت نفسي باحتفال. سأطلعك على أخباري أثناء تناول الشراب.»

«احتفال؟»

ألقى عليها نظرة تخمين حادة ولكنها لم تلاحظها، ومضت تقول: «أعرف أنك ستفرح لأجلي.»

«حقاً؟» علّق بصوت فاتر وأشاح عنها.

كانت تجلس إلى طاولة الزينة تمشط شعرها فسألته: «جيمس، هل هناك ما يضايقك؟»

«لا شيء. لا شيء سوى... خروجنا لتناول العشاء. لا أجد له مبرراً وجيهاً، فنحن نخرج أكثر من اللازم.»

شرعت تدهن وجهها وعنقها بالكريم وقالت شارحة: «لم أقصد المطعم القريب الذي نرتاده... كي أوفر على نفسي مشقة الطهي، بل ذلك النادي الليلي الصغير الذي رأيناه لدى عودتنا من زيارة أبويّ ووعدنا أنفسنا بتناول العشاء فيه في وقت ما، هل تذكر اسمه؟»

«الأرنب الأبيض. أو ربما البنيّ. أذكر أنه لا يبعد كثيراً عن باربيكا.»

«فكّرت أن نذهب إليه.» وهنا خُيّل إليها أنه بدأ يعبس فاردفت بسرعة: «أنا سأدفع الحساب.»

«أوه، حسناً، ما دمت ستدفعين.» ثم خرج من الغرفة، حملقت إليه بخيبة وذهول. فالسخرية شيء لم تعهده فيه، وهو سخر منها حتماً. لقد أرادت لهذا المساء أن يكون مميزاً، ولكنها أحطات التصرف، إذ كان يجب أن تنبئه بترقيتها فور وصولها، ويتفقان بالتالي على كيفية الاحتفال. كان من الجائز أن يقترح اسلوباً آخر، فتناول العشاء في مطعم أمر عادي، كما قال... وكم كانت هي ساذجة حين عرضت أن تدفع الحساب! إن شيئاً كهذا يُقال لصديقة لا لزوج. ولا سيّما لهذا الزوج بالذات. فجيمس يصر دائماً على استعمال بطاقة اعتماده ويتولى أمر هذه المصاريف...

في أي حال، سواء خرجا أم بقيا في البيت فالأمر سيّان لديها، بل إن البقاء يعني جهداً أقل بالنسبة إليها إذ بوسعها أن تطلب شريحة لحم بالهاتف، ولديها شراب جيّد، تبقّى من

www.liilas.com

الحفلة التي أقاماها بعد عودتهما من جامايكا... وذلك سيكون احتفالاً كافياً بالنسبة لها.

شرّي عنها فراحت تدندن وهي ترتدي ثيابها. اختارت تنورة خضراء طويلة، ابتاعها لها جيمس في شهر العسل، وبلوزة قطنية بيضاء ذات كمين منتفخين. ثم وضعت ماكياجاً خفيفاً، وتركت شعرها مسترسلاً، إنما أبعدته عن وجهها بطوق عريض. وأخيراً، رشت قليلاً من العطر الناعم، ثم مشت بانسياب إلى غرفة الجلوس.

كان يسند مرفقه إلى رف الموقد ويحك ذقنه مفكراً. كانت المرآة المعلّقة خلفه تعكس مؤخرة رأسه. ورأت جين صورتها تنعكس أيضاً. راقبا بعضهما البعض بدقة واستوعبت جين تكاوينه. ساقان طويلتان في سروال ضيّق، وكاحل ملتف على الآخر. وحذاء مصقول، وجوارب رمادي من جلد الأفاعي يحيط بردفيه، وقميص نيلية وربطة عنق رمادية وأرجوانية.

«أنت على حق يا جيمس.» اقتربت منه وطوّقت عنقه بذراعيها ورأت عينيه تبرقان بدفء. شعرت بالانتصار وأردفت: «البقاء في البيت أمتع بكثير.»

ضاعف ضغط ذراعه حول خصرها وقال: «أتعلمين أن طريقة مشيك رائعة، سواء كنت مقبلة أم مُدبرة...؟ إنها أول شيء لاحظته فيك.»

أرخت أهدابها وغمغمت: «حسبت أن كوب العصير كان أول شيء رأيته مني.»

«كلا، فلقد رأيتك قبل ذلك... في تلك التنورة القصيرة، وعقدت العزم لحظتئذ...» وأخذ يهمس في أذنها بلطف.

«علام؟» كانت مسترخية.

«فكرت آنذاك... أظن أنه من الخير ألا أخبرك بما فكرت.»

«جيمس!»

«فكرت أنك أكثر النساء سحراً وجمالاً و... بأني لم أر لك مثيلاً من قبل.» أبعدها عنه قليلاً ثم ضحك من نظرتها المستغربة... «ولكن هل تعلمين بأني أتضور جوعاً؟»

«لقد تزوجتني إذن، لأطبخ لك!» رمقته بتأنيب مصطنع وسارت إلى المطبخ.

لحق بها ووقف يراقبها. لبست مئزراً وشرعت تفتح الخزائن فقال يجيبها: «ومن أجل أشياء أخرى، فالطهي لم يكن السبب الأهم آنذاك.»

أخرجت طبقاً من الكريما المخفوقة من البرّاد، ولحست منها لحسة وقالت: «قد يكون ذلك مناسباً لا غير. لا أجيد الطهي ولكني بارعة في صنع السلطات على أنواعها.» لوّحت له بكيس بلاستيكي يحوي خضاراً وتناولت مصفاة.

علّق جيمس: «والدتك طبّاخة جيّدة ومعظم النساء يصبحن مثل أمهاتهن في النهاية.»

«إذن ستنتظر طويلاً، وآمل ألا تموت جوعاً في هذه الفترة.»

تناول فجلة ممتلئة وسمعته يقضمها بأسنانه وهي تغسل الخس تحت الحنفية، وقال: «أتراني ظلمتك بتحضير العشاء هنا في حين كنت تفضلين أن نتناوله خارج البيت؟»

«لم أقل بأني سأفضل ذلك...» أفرغت محتويات المصفاة في مجففة الخضار الكهربائية وأردفت وهي تنشف يديها بسرعة: «شغّل هذه الآلة ريثما أصنع مرق التوابل. كلا،

www.liilas.com

أفضل في الواقع أن نبقى هنا، كل ما في الأمر أني فكّرت بأنك تستحق وجبة مغذية في ذلك المطعم، ولكن بوسعنا أن نحتفل هنا.»

«آه، الاحتفال. يبدو وكأن نهارك كان مثيراً. مثل ما كان نهاري، فأنا أيضاً لدي خبر خاص يستحق شراباً فاخراً، سأحضره في الحال.»

«هيا، يا جين، هات ما عندك، إن الفضول يقتلني!» كانا استمتعا بالوجبة برغم بساطتها، ولما انحنى صوبها وابتسم لها من خلال الشموع المشتعلة، أدركت أن اللحظة قد حانت بعدما احتضنت النبأ السعيد في قلبها ساعات طويلة، كي يكون جيمس أول العالمين به.

«حسناً، أحسبك تعلم بأن السيدة ديفير توقفت عن العمل منذ خمسة أشهر تقريباً.»

«أجل، فلقد أخبرتني بنفسك بأنها آذت عمودها الفقري بسبب وقوعها على الجليد.»

«حسناً، لقد قرّرت أخيراً أن تتوقف نهائياً عن العمل. وهكذا...» اتسعت عيناها والتمعتا بالانفعال «... استدعتني الإدارة ظهر اليوم لأقابل رئيس الشركة الذي عرض عليّ منصبها، رسمياً.»

ضاقت عيناه قليلاً وبدا أقل تأثراً مما توقعت: «وهكذا، على ما أظن، لقد اعطوك فرصة لتفكري في العرض؟»

«أفكر؟» صارت في قمة الانفعال وقفزت واقفة. وأوشكت أن تطيح بكأسها لو لم تتداركه في اللحظة المناسبة، ثم جلست بقربه وطوّقت عنقه بذراعيها: «ليس

في الأمر ما يستدعي التفكير. ألم أخبرك بأني كنت أنتظر هذا المنصب طوال السنوات الخمس الماضية؟ أوه، هذا لا يعني أني لست حزينة من أجل السيدة ديفير...»

«من الطبيعي أن تحزني.» قال ذلك بسخرية مبطنة ولكن جين غفلت عنها لفرط نشوتها.

مضت تقول: «وافقت فوراً على عرضهم. فأنا جديرة بهذا العمل، وقد أكون أفضل من السيدة ديفير... التي صارت روتينية في الآونة الأخيرة... أوه، يا جيمس، ستنفتح أمامي فرصة عظيمة! إذ سأغطي كل معارض الأزياء في باريس وروما و...»

تعثرت في المتابعة إذ وعت بأنها قد تكون وصلت إلى أسباب تحفظه، فأسفارها إلى هنا وهناك ستعني حتماً جدولاً للمواعيد وساعات عمل أطول بكثير، وهو يعتقد الآن بأنها تعمل وقتاً أطول من اللازم. كان وجهه جامداً يُخفي أحاسيسه الداخلية ولكنها تابعت: «أعرف أنك ستتضايق في غيابي، ولكن بالطبع سوف أحصل على مال أكثر.»

أدركت بعد فوات الأوان أنه ما كان يجب أن تقول ذلك. وقالت: «ولكني سأحصل على راتب أعلى بكثير من راتبي الحالي وسيكون الفارق كبيراً بين الوظيفتين.» تلاشى صوتها وتلاشى معه جزء من ثقتها الذاتية. لقد انتهى الأمر على غير ما تخيّلت، وفكرت في ما لو أنه حصل على ترقية غير متوقعة لكانت ابتهجت من أجله، ولكنها صمتت على التجاهل ومضت تشرح وتبرر: «هل تدري ماذا قال عني اللورد جوسلين، رئيس الشركة؟» قال: «يجب أن نهتم بالسيدة بارنارد، لأنها لنا، كيلا يسرقها

www.liilas.com

أخصامنا منّا.» السيدة بارنارد لنا! وهنا خانها صوتها من جديد ثم هتفت بتوسل: «أرجوك، يا جيمس، قل إنك سعيد من أجلي!»

صمت لحظة قبل أن يجيب، ومع أن ابتسامته كانت لا تزال مقتضبة، بيد أن جين لم تستوعب ذلك إلاّ لاحقاً: «بالطبع أنا سعيد من أجلك. أنا مبتهج، وفخور بك جداً، وأوافق السيد جوسلين رأيه، فنصف مجلات لندن ستحاول أن تسرقك منه تحت سمعه وبصره، ولكن...»

اطمأنت إلى حد ما وابتسمت له إنما بدا القلق في عينيها حين تمعنت في وجهه: «جيمس! أنا لا يمكن أن أترك بومونت! بالطبع، لم أصرّح لهم بذلك، ولكن مجلس الإدارة يعرف بأني كنتُ أهدف إلى هذا المركز منذ سنوات. لقد أخبرتك ذلك مراراً، و...»

«أجل، أجل، يا حبيبتي، أخبرتني ذلك مراراً.» وبدت عيناه داكنتين ومنزعجتين إلى درجة، استحال عليها أن تسحق خوفها المتصاعد.

«جيمس؟» سألت بحذر إذ تذكرت أنه هو الآخر لديه خبر جديد. همّت بأن تسأله عنه ولكنه تنهد بعمق وقال مكرراً بصوت خاوٍ: «أجل يا جين، منذ لقائنا الأول، بيّنتِ لي عزمك على نيل تلك الوظيفة، وهذا ما يجعلني أتردد كثيراً في عرقلة أمورك. تعلمين ولا ريب أني لن أتوانى عن فعل أي شيء كي أتجنب ذلك، ولكن...»

شعرت بإحباط شديد، أوشك أن يحملها على الصراخ ولكنها تماسكت وقالت: «جيمس! وكأن أي شيء قمت به، سيفسد عليك الأمر.» إلا أنها شعرت بخوف معيّن. وبرغبة

مجنونة في سدّ أذنيها، لتهرب ممّا يهددها، لتهرب إلى أمان غرفة النوم المعتمة.

تساءلت: هل المال هو السبب؟ فجيمس حساس تجاه هذا الموضوع على نحوٍ تقليدي مع أنه متفوق على أبناء جيله في معظم النواحي الحياتية الأخرى. لقد أخطأت التصرف وتسرعت في ذكر الزيادة الكبيرة التي ستطرأ على راتبها. ولكن من ناحية أخرى، جميع الناس يعترفون هذه الأيام بأن النساء، مثل الرجال، مؤهلات للوظائف الهامة والعالية الرواتب. ثم ليس هناك ما يدعوه إلى الشعور بعدم الأمان، فكلاهما حصل على ما يريد، سواء في محيط العمل أم في المنزل و...

أيقظها صوته من أفكارها: «أنا في منتهى الأسف، يا حبيبتي.» نهض واقفاً ولمس يدها في بادرة استرضائية وقال بضيق واضح: «أجريت اليوم مخابرات هاتفية عديدة مع شركتنا الأم في هيوستن، وعلمت بأن تغييرات مهمة تحصل الآن في الشركة. جين، الموضوع باختصار هو أننا سنغادر لندن قريباً جداً، فلقد عُينت للعمل في البرازيل وسنسافر إليها لنعيش فيها.»

أعقب تصريحه صمت طويل، وشعرت كما لو أن ضربة هائلة سدّدت إلى قلبها، وعجزت عن النطق. تفحصت عينيه بيأس بحثاً عن إشارة تؤكد بأنها أخطأت فهم كلامه. ولكن، لعلّه كان يمزح. لا بد أنه كان يغيظها زاعماً بأنه هو أيضاً تلقى عرضاً جديداً أسوة بها. أقنعتْ نفسها بهذا التحليل فارتفعت معنوياتها، ومن ثم تحطمت عندما استوعبت حقيقة القلق والاهتمام في تعابير وجهه.

www.liilas.com

لكن كيف يعقل هذا؟ كيف يمكن لأمور كهذه أن تحدث؟ فقبل دقائق معدودة كانت امرأة سعيدة وناجحة فهي تزوجت رجلاً وسيما تحبه بافتتان، والآن... تأكدت من بلوغ القمة في المهنة التي اختارتها لنفسها. لم تستوعب لماذا حُكم على كل ذلك بالاحتراق والترمد...

أخيراً، بذلت جهداً جبّاراً وأرغمت شفتيها على التحرك: «ما... ماذا قلت، يا جيمس؟ تخيّلت للحظة...»

أجاب بنبرة متوسلة أغاظتها: «حبيبتي، ستحبين ذلك البلد عندما ترينه...»

إذن، كان الخبر حقيقة لا مزاحاً. شعرت بالدم يغيض في وجهها ولم تقو ساقاها على حملها فجلست بإعياء على أقرب مقعد.

تذكرت أنه ذكر البرازيل. ولكن لا بد وأنها أخطأت فهم الاسم... ثم تردّدت الكلمة في ذهنها فأدركت بيقين رهيب بأنه لا يوجد ثمة خطأ. كذلك عرفت، بيقين رهيب، بأنها لن تسافر إلى البرازيل، جين بارنارد، سوف تبقى في لندن. وهذا يعني... أن جيمس سيمضي... لا، لن تسمح له بذلك فهي غير مستعدة لفراقه.

ريما www.liilas.com

الفصل الرابع

برعت جين في وقت قصير نسبياً، في فنون التملق الكفيلة بتحقيق رغباتها. ولأن جيمس كان يدلّلها بافراط، فلن تحتاج إلى كثير من التملق كي تنال مبتغاها. كان يكفي أن تتقدم منه وتقف خلفه. مثلما تفعل الآن، وتطوّقه بذراعيها وتلصق خدّها بكتفه فيتجاوب مع ما تريده منه، حتماً.

«جيمس، سوف نناقش الموضوع، أليس كذلك؟»

لكنها شعرت الآن بتصلبه وكانت تأمل في رد فعل آخر. فبدل أن يستدير إليها ويعانقها، تراجع مبتعداً عنها والتقط الأوراق التي كان يعمل بها قبيل وصولها.

«بالطبع.» ورمقها بنظرة سريعة إنما لم يبد عليه أنه لاحظ بلوزتها الخضراء الحريرية التي تعجبه بشكل خاص كونها بلون عينيها نفسه. ثم سألها وهو يكب مجدداً على أوراقه. «أي موضوع تودّين مناقشته؟»

شعرت بتيّار خيبة كما لو أن باباً صُفق في وجهها بتعمد، ولسعت الدموع المترقرقة عينيها. ولكنها سرعان ما توقفت، من جراء موجة الغضب التي اجتاحت كيانها... كيف تجرأ على وضعها في هذا المأزق؟ كيف يمكنه أن يكون قاسياً إلى هذه الدرجة، ويسبب لها كل هذا القلق؟ لا سيّما الآن. في ظرفها الحاضر الذي يعيه جيّداً، ويعلم بأنها منهمكة في إعادة تنظيم قسم التحرير، ويعلم الأهمية

الكبرى التي تعلّقها على بلوغ القمّة في عملها. لم تكن لتصدق بأنه لن يقدر ظروفها... وأجابته، بصوت حاد، كالذي تخاطب به صبياً مهملاً: «أعتقد أنه واضح تمام الوضوح.» تبيّن له نفاد صبرها. سارت إلى المطبخ وكعب حذائها ينقر بغضب على الأرض، وتشاغلت بغسل يديها على المجلى. تمهل جيمس في اللحاق بها مُضاعفاً بذلك غيظها، ولكنها أحست بوجوده عندما وقف على العتبة، يراقبها بعينين ضيقتين. سرّها أن تتجاهله لثوان ثم استدارت إليه وقالت بتحدٍ وهي تنشف يديها: «أليس الموضوع واضحاً؟»

«أتقصدين قضية ذهابنا إلى البرازيل؟» سألها بلطف. بدا لها أنه تعمد اللطافة ليزيد من غيظها ولكنها كانت تعلّمت أن تعد إلى العشرة. وهذا ما فعلته ببطء بينها وبين نفسها وهي تحملق فيه وتعيد المنشفة إلى المشجب. كيف لم تعرف من قبل أن بوسع الرجال أن يكونوا... صعبي المراس... واستفزازيين إلى هذه الدرجة؟

أجابته وهي تومىء برأسها: «أجل، موضوع العمل الذي عُرض عليك. أنا أعتقد، جازمة بأنها قضية جديرة بالمناقشة. أليس كذلك؟»

كان يحمل الأوراق وينظر إليها بعبوس وكأنها أهمّ بكثير من حديثها. وقال: «أجل، ولكني قررت أن نترك الموضوع وشأنه لبضعة أيام، فأنت عارضت الفكرة كثيراً في البداية...»

«وما زلت أعارضها.»

«لكنني أعرف أنك عندما تعيدين النظر ستكتشفين كل

ايجابيات هذا البلد الساحر، يا جين، وسوف تحبينها، وبوسعنا أن نعيش هناك حياةً رائعة...»

«أنا أحب بلدي، وأجده ساحراً.» تكلمت بحرارة وانفعال وعادت تشعر بلسع الدموع وهي قلّما تبكي. ومضت تقول: «كذلك أحب عملي، وحياتنا في هذه الشقة... التي هي تجسيد لكل ما حلمت به.»

«كنتِ أيضاً تحبين السفر، فلطالما أعربت لي عن غيرتك من رحلاتي المتعددة وتمنيت لو أن نصف ذلك يتاح لك.»

أجابته مُعولة: «أنا أحب السفر في اجازات.» وفكّرت بيأس بتلك الليالي عندما كانت تتكور بقربه على الأريكة وتحثه على سرد قصص البلدان النائية الجميلة. والآن، خلصت إلى القول: «وأحب دائماً أن أعود إلى دياري، ولم أقل مرة واحدة بأني أرغب في العيش في الخارج.»

«اسمعي، يا حبيبتي...» كان واضحاً أنه يبذل جهداً جبّاراً ليتكلم عقلانياً، وهذا كان بحد ذاته أمراً مزعجاً ولكنها طفلة عنيدة، يجب أن تُملق كي يصفو مزاجها. ثم تقدّم منها ولمس وجنتها بظاهر يده. كان لطيف التعبير ويبدو فائق الوسامة كعادته، فلا فرق إن هو ارتدى ثياباً رسمية أو عادية كهذه: قميصاً زرقاء وبيضاء، وكنزة زرقاء من الكشمير. أجل، إنه جذّاب على نحو مهيب، ولكن جين امتعضت للحظة من هذه الحقيقة. ومضى يقول: «دعينا نعالج الموضوع بمنطقية... فالأمر مهم بالنسبة لكلينا. لقد أُمرت بأن أعمل في البرازيل مدة سنتين وأريدك... أتوقع منك أن تذهبي معي. هذا كل ما في الأمر.»

«كلا!»

www.liilas.com

انتابها غضب واحباط، ورغبت في ضربه كي تخرجه من شرنقة استرخائه الذاتي، وأخذت ترتجف، فلفّت ذراعيها حول جسمها لتخفي الارتجاف الذي قد يأخذه على محمل الضعف، ثم أشاحت عنه كي لا يتأثر قرارها بأي توسل ستراه في عينيه، وقالت بنبرة معتدلة: «كلا، ليس هذا كل ما في الأمر، لسوء الحظ، فهناك أمور كثيرة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار...»

«هل تفضّلين ألا أكترث بذهابك معي أو ببقائك هنا؟ أخبريني، كيف سيكون موقفك إذا لم أكترث بالفعل، هل ستكونين أسعد حالاً؟»

«أفضل... أن تدرك بأنك لست وحدك صاحب مهنة وفي الواقع...» وهنا صارعت أفكاراً، ما برحت تؤرقها منذ أن فجّر قنبلته، أفكاراً أملى عليها التعقل بأن تحتفظ بها في نفسها، ولكنها لن تستطيع، الآن، إلا أن تصارحه بها، ولذا أضافت: «من مدة ليست ببعيدة أخبرتني بأنك لست طموحاً بشكل خاص، وعلى هذا، لماذا لا تخبر رؤساءك بأنك تفضل البقاء في لندن؟ من الواضح أنهم يقدّرون إنجازاتك وإلا لما كانوا عرضوا عليك العمل في البرازيل. أطلب منهم ذلك وأنا واثقة بأنهم سيوافقون، وهكذا يحصل كلانا على ما يريد.»

حدّق فيها بصمت وبدأ غافلاً عن عينيها الواسعتين المناشدتين وغير متأثر بعلوّ صدرها وهبوطه بفعل انفعالها. وأخيراً قال متنهداً: «لا، يا جين، فأنت تعنين في الحقيقة بأنك أنت التي ستحصلين على ما تريدين.»

«ولكنك قلت...»

«لا يهمني ما قلت. ولو قلت بأني لست طموحاً فذلك لا

يعني بأني على استعداد لأن أضيّع أية فرصة تلوح في طريقي.» قطّب جبينه، وعبر الغرفة جيئة وذهاباً ومضى يقول: «هل تدركين ماهية هذه الوظيفة؟ إنها ضربة موفقة غير متوقعة، وسأكون شديد الحمق إذا رفضتها، سيعتقد الجميع بأني فقدت رشدي، وستكون نهاية الطريق في ما يتعلق بعملي في أتلانتيك أويل. وعندما قلتُ بأني لست طموحاً، كنت أقصد على الأرجح بأني لا أضع الترقيات على رأس أولوياتي... فهناك أشياء أخرى، هي أثمن، وأهم في نظري. وأحدها...» توهجت عيناه بغضب قاتم لم تعهده فيه وتابع: «أحدها زواجنا، ولذلك توقعت منك أن ترافقيني إلى البرازيل.»

«لذلك...» هذه المرة لسعتها الدموع التي انهمرت بغزارة. غرزت أظافرها في راحتيها وعلى الرغم من ذلك، أردفت بصوت مرتعش: «لذلك يصعب عليّ كثيراً أن أفهم تصميمك على السفر.» ثم غادرت الغرفة وهرولت إلى مخدعهما، حيث ناضلت بضع دقائق لتسترد تماسكها. ارتاحت ووقفت أمام المرآة ترنو بغضب إلى عينيها المحمرتين ولكنها شعرت بالارتياح لأن جيمس لم يلحق بها ويشاهد وضعها المزري. وضعت القليل من أحمر الشفاه ورشةً من البودرة لترفع معنوياتها... ثم شدّت الحزام العريض حول خصرها... يجب أن يحاولا تسوية الوضع ولا سيّما قبل رحلتهما المقررة إلى ساسكس في نهاية الأسبوع المقبل. فهي لا تريد بأي حال أن يرتاب أبواها بوجود مشكلة في زواجها وبخاصة أنهما طارا إلى جزر الكاريبي ليقنعاها بالتروي، ثم استسلما كليّا عندما

www.liilas.com

تعرفا إلى الرجل الذي وقعت في حبه، في أي حال، ليس هناك مشكلة، أو على الأقل، إذا قامت مشكلة ما، فلن تعجز عن حلّها. تنهدت وتضمخت برشة عطر ثم استدارت إلى الباب.

فوجئت بوجوده على العتبة ولم يحاول في لحظتها، إخفاء غضبه حين قال: «جين، لا جدوى من التظاهر على الرغم من أننا في نهاية القرن العشرين، إن مهنة الرجل تدوم ما دام حيّا ولكن ذلك لا يطبق كقاعدة على الشابات المتزوجات، وإن كنتِ تريدين تأكيداً لذلك فاسألي لوتي.»

«أوه، لوتي.» ارتجفت شفتاها وفضحتاها.

«أجل، لوتي. التي تحترمين آراءها كثيراً. ماذا قالت لك؟ إذا افترضنا بالطبع بأنك بحثت الموضوع معها.» ولمّا التزمت الصمت وتنهدت بصوت مسموع وتشاغلت بتعديل الستائر، كرّر بإلحاح: «أجيبي! هل قلت للوتي بأننا سنذهب إلى البرازيل؟»

«أجل، ذكرت لها بأنهم عرضوا عليك عملاً هناك.»

«ثم...»

امتعضت من إلحاحه، ورفضت لحظتئذ أن تعترف بمدى الحماسة التي أظهرتها لوتي لدى سماعها الخبر، ولذا أجابته بغضب: «إن كنت مصرّاً على معرفة رأيها، لقد قالت بأن ذهابي قد يكون تجربة مثيرة للاهتمام.»

ولو أن الصينيين عذبوها لحظتئذ على طريقتهم لما استطاعوا إرغامها على كشف ما قالت لها لوتي بحرفيته. «لقد أقبلت الدنيا عليك، أليس كذلك، يا جين؟ رحلة رائعة إلى بلد مثير... وبرفقة رجل على غرار جيمس! كم أغار منك!»

انتابها ما يشبه اليأس، كون لوتي الموثوقة التي تعتمد عليها في السرّاء والضراء بدت عازفة عن الموافقة على قرارها، ولذا سمعت نفسها تجيبها بشيء من الحدّة: «لكنني، يا لوتي لا أستطيع الآن أن أتخلى عن عملي وقد بلغت رأس السلّم... بعد انتظار طويل جداً! فمنذ جئت إلى بومونت وأنا أطمح إلى منصب رئاسة التحرير لدى تقاعد السيدة ديفير.»

لم تتردد لوتي بتبرير موقفها، وقالت وهي تُدخل ورقة أخرى في آلة الكتابة: «وما أهمية الوظيفة إذا ما قيست بزوج وأطفال... لا أرى مجالاً للمقارنة، أليس كذلك؟» كان ذلك صحيحاً بالنسبة إلى وجهة نظر لوتي التي طالما جاهرت بأنها تعمل فحسب، كي تؤمن لولديها تعليماً جامعياً و...

قال جيمس قاطعاً عليها افكارها المزعجة: «كنت أحسب بأن معظم النساء عندما يتزوجن يتركن بأنهن سيواجهن ظروفاً مستقبلية، يرغبن عندها بالتوقف عن العمل...»

ولكن جين لم تكن في مزاج تساهلي، بل إنها رفضت أن تنظر صوبه وقالت وهي تهز رأسها بحسم: «أنا لم أفكر بذلك أبداً...»

«لم تفكري أبداً!» كان في أقصى مظاهره الساحرة، الجذابة مثلما عرفته لأول مرة... ما أسهل الاستسلام له، ويا للبهجة التي ستعقب عذابات الأيام الأخيرة... وكأنما استشعر تقلقل عواطفها، أمسك مرفقيها ونظر في عينيها بثقة تملكية وردّد بصوت أكثر عمقاً: «لم تفكري أبداً...» كان عنقه الأسمر أمام بصرها مباشرة، يدعوها إلى لمس جلده الحريري. ثم شبك يديه حول خصرها فتطلعت إليه وقد

www.liilas.com

تعرّت عواطفها لناظريه. لحظة أخرى وتستسلم، وتدعه يقنعها بأن تفعل كل ما يريده منها في حين تُلقي أحلامها وطموحاتها في سلّة المهملات، وقال متفحصاً تعبيرها بإمعان: «ألم تفكري، يا حبيبتي، بأنك ذات يوم، في المستقبل القريب، قد ترغبين بإنجاب طفل؟»

مرّت لحظة قبل أن تستوعب اقتراحه إذ كانت ماخوذة بإقناعه المغري إلى درجة ضيّعت معها منطقها، ولكن عندما استوعبته، تبخّر السحر وتراجعت مبتعدة قبل أن يتمكن من احداث مزيدٍ من الضرر.

«كلا، يا جيمس.»

ولكن ألمها كثيراً أن تفصم الرباط وأن ترفض اقتراحه في حين لم تكن تبغي إلا أن تُسعده وتسعد معه... وتألمت حين رأت نظرته اللطيفة تبرد وتنكمش. «ما كنت فكرت في ذلك، صدقني. وربما لست من النوع الأمومي.» «وبرغم ذلك...» انبعث صوت ملحاح من عقلها الباطني وذكّرها بأنها كانت قد أظهرت بعض التجاوب والاهتمام عندما ذكر جيمس مرة بأنهما قد يقرران إنجاب طفل في وقت ما... ولكنها مضت تقول: «كانت مهنتي دائماً محور حياتي، ومنذ أن تزوجنا، يا جيمس، حصلتُ على كل ما أريد، في هذه الحياة.»

علّق بصوت فاتر وهو يشيح عنها: «أنتِ تدهشينني وتخيّبين أملي. لقد افترضتُ دائماً... أوه، لا عليك.» غادر الحجرة وعاد بعد لحظات وقال وهو يرتدي سترته: «يجب أن أخرج وأبعث بهذه الرسالة... أوه، لا تقلقي إذا لم أرجع بسرعة...»

«ما... ماذا تقصد؟»

«أشعر بحاجة إلى هواء نقيّ.» وابتسم ابتسامة مقتضبة: «قد أقوم بالهرولة حول المتنزّه، إذا لم يهطل المطر. هل... تودين أن ترافقيني؟»

«يجب... يجب أن أنهي كتابة المقال ليوم غد، ربما في وقت آخر...» وابتسمت بدورها بفتور.

«آه، نعم، بالطبع، المقال... نسيت ذلك.» ثم مال صوبها بحيث تلامس خدّاهما لحظة وأردف: «لا تقلقي، أنا أكيد باننا سنسوّي الأمر على نحو ما، ألا تعتقدين ذلك؟» استدار ووقف يده ممسكة بالباب وقال: «إن الزواج المتهور لا يتيح الوقت الكافي للتعرف الصحيح. إلى اللقاء، لن أتأخر.»

تركها تحدق في الباب المغلق، فيما أخذت الكلمات السلبية على أنواعها ترن في أذنيها، وكانت خيبة الأمل، أكثرها إلحاحاً. أجل، لقد خاب أمله فيها. ولا قِبَل لها باحتمال ذلك.

إنما عليها أن تحتمل، فهي لو استسلمت له الآن ستضطر للتخلي عن كل خطة رسمتها لنفسها، والزواج لم يكن في الحقيقة واحداً من أهدافها البعيدة المدى، وكان مجرد أمر واقع. إنما لا يعني هذا أنها ندمت عليه بل من المبهج بالنسبة لها، أن تلتقي بجيمس ويحبان بعضهما البعض على الفور، ولذلك لن ترضى عن زواجهما بديلاً.

باستثناء موضوع السفر. يجب أن تقنعه بالتخلي عن فكرة العمل في الخارج، فسوف تتوفر له فرص أخرى في المستقبل، وهي أيضاً قد تشعر في المستقبل بأنها قد أثبتت قدرتها في مهنتها، وحيث ستشعر إزاءها باسترخاء أكبر، وقد تفكر، حتى في خوض حقل آخر من حقول العمل.

www.liilas.com

أما بالنسبة لإنجاب طفل، فهي لا تستطيع أن تتخيل حصول ذلك، ربما لأنها لم تفكّر أبداً بالإنجاب ولكن إذا كان جيمس يعلّق عليه أهمية كبيرة... تنهدت بتعب ثم التقطت الأوراق والصور التي ستشكل أساساً لتحقيق مصوّر بعنوان عر ائس الشتاء. لم تجد الوقت في المكتب لتنجز هذا التحقيق. وشعرت الآن بعزوف تام عن إيلائه الاهتمام المطلوب.

«لقد خيّبت أمله...» حاولت بطرق شتى أن تتجاهل هذه الكلمات إلا أنها أخذت تحفر في قلبها وتصيبها بالألم، وكأنها حامض حارق. اغرورقت عيناها بالدموع فتلاشت السطور والصور أمامها، ومرّت لحظات قبل أن تتمكن من استعادة رباطة جأشها. يجب ألا تستسلم ثانيةً للبكاء والدموع وإلا عجزت عن إنجاز التحقيق الرئيسي لمجلة بوموند. إذ يجب ألا تدع حياتها الخاصة تؤثر على حياتها المهنية. وهكذا جلست إلى مكتبها وأرغمت نفسها على التركيز.

ريما www.liilas.com

الفصل الخامس

كانوا قد انتهوا من تناول العشاء وتأهبوا للانتقال إلى غرفة الجلوس لشرب القهوة عندما أرسل جيمس لزوجته نظرة تحذيرية عبر المائدة. ثم ابتسم لحماته على ذلك النحو الكسول الذي يجذب النساء على اختلاف أعمارهن. وتجاوبت أمها باهتمام ولهفة مثلما سوف تتجاوب هي بعد عشرين سنة. إلا إذا... وشعرت بألم وبشيء من الخوف يطعن صدرها... إلا إذا... ثم حاولت أن تبتسم لوالديها عندما قال جيمس مخاطباً حماته: «نانسي، أعتقد أن ابنتك تحمل لك بعض الأخبار.»

«أحقاً، يا جين؟» وضعت نانسي ويات منفضة السجائر أمام زوجها. ثم نظرت إلى ابنتها بتوقع ملهوف. كانت تحاول جهدها أن تسيطر عليه: «إذن، اخبرينا بسرعة، ولا تدعينا نهباً للقلق.» وتبادلت مع زوجها نظرة تفهم.

لكن هذه النظرة أوقعت جين في حرج وغيظ، إذ دلّت بوضوح تام إلى اعتقادهما بأنها حامل، وشعرت أن اللوم يقع على جيمس فهو لو كان أكثر صراحة وأقل غموضاً...

سارعت إلى القول كي تضع الأمور في نصابها: «تعلمان أن السيدة ديفير مريضة منذ أشهر...» وهنا نظرت إلى زوجها بتحدٍ متعمد، وتابعت: «ولكنها قررت أخيراً أن تستقيل، وكان من الطبيعي أن يعرضوا عليّ وظيفتها.»

ران صمت قصير، أكد لجين بأن أبويها كانا يأملان في سماع خبر مختلف تماماً. وهتفت أمها: «حبيبتي! هذا نبأ رائع، أليس كذلك، يا آلان؟ كنا نعرف مدى رغبتك في نيل ذلك المنصب.»

هنا، نظرت جين إلى زوجها ورفعت أحد حاجبيها وكأنها تطلب منه أن يأخذ علماً بجملة والدتها الأخيرة، ولكنه ثنى شفتيه بعدم اكتراث وكأنه يجيب بأن أية وظيفة عدا وظيفته لا تستأهل الاهتمام... وقال لها والدها: «مبروك، يا جين. لقد عملت معهم بكدٍ وكنت على يقين من نجاحك. لقد اعترفت الإدارة على الأقل بأنك كنت تديرين القسم في الأشهر الستة الماضية... ولو أنهم اختاروا شخص سواك، لكانوا مجانين.»

قالت وهي ترمق زوجها عبر الطاولة: «ولكن جيمس لديه أيضاً بعض الأخبار الجديدة، تكلم يا حبيبي.» وأشارت بيدها وكأنها تدعوه إلى اعتلاء المسرح فيما انسحبت هي من تحت الأضواء. وحاولت ألاّ تتألم كثيراً من تعبيره الساخر الوقح.

روى لهما النبأ باختصار، ولمّا انتهى، صمت حماه لحظة ثم تكلما بالتناوب وكان واضحاً أنهما تحمسا لخبره أكثر. هتفت نانسي بابتهاج شديد: «هذه أروع مفاجأة! لا تسألا كم أنا سعيدة من أجلكما!»

وعقّب حماه: «أجل، هذا خبر عظيم، يا جيمس. لا شك بأنك مسرور بهذه الوظيفة وبخاصة لأنها لم تكن متوقعة.»

عادت أمها تقول: «سوف نفتقدكما، بالطبع، ونتألم لفراقكما. كنت أتوق دائماً إلى رؤية أميركا الجنوبية... لا

أدري لماذا، ربما لأني قرأت شيئاً حول جبال الأنديز...»

«لا أظن أن جبال الأنديز تقع في البرازيل، يا نانسي.» قال زوجها مصححاً معلوماتها.

لكنها تجاهلت مقاطعته وقالت: «اسكت يا حبيبي، ألا تلاحظ أني أحاول أن أحصل منهما على دعوة لزيارتهما هناك؟» ثم أردفت مخاطبة ابنتها وصهرها: «سوف يسعدنا الذهاب في زيارة، فهلاّ تلطفتما ودعوتمانا...»

ران صمت قصير، ولكن قبل أن يصبح محرجاً ابتسم لهما جيمس. وحدها جين أدركت كم كلّفته هذه الابتسامة. فهي أيضاً بدأت تشعر بتوتر مُتنامٍ منذ أن استيقظت صباحاً، وأحسته الآن يجثم كحجر ثقيل على صدرها. احتبست الدموع في عينيها ونظرت إلى جيمس منتظرةً أن يرد على السؤال الذي لم يحسبا له حساباً فقال لحميه: «بالطبع أنتما مدعوّان. دونما سؤال...» وبدا واضحاً الآن أنه يغتصب الابتسام، وصوّب إلى جين نظرة اتهامية، وكأنه يقول، إنهما أبواك، وتصرفاتك ستسبب لهما قلقاً شديداً، ولكنك تلقين على كاهلي عبء التخلص من هذا المأزق. وقال لهما متابعاً: «ولكن عليكما أن تتحملا رفقتي فقط لأن جين قررت البقاء في لندن، فهي أيضاً حظيت بفرصة رائعة في المجلة و... وكان من سوء الحظ حصول هذا التزامن. كانت تصبو منذ سنوات إلى هذا المنصب، كما قلتما، ولذلك يبدو أنها لن ترافقني إلى البرازيل.»

سكت الجميع ولكن ست عيون تركزت على جين بدهشة انتقادية رهيبة جعلتها تتوق لرفع يديها ودفع تلك العيون عنها.

www.liilas.com

هتفت أمها مؤنبة وغير مصدقة: «جين! لا يمكنك أن تعني ذلك بأي حال! إنك لن تدعي جيمس يذهب بمفرده إلى البرازيل!»

قالت متظاهرة بسوء فهمها لمقصد نانسي: «إنه رجل ناضج يا أمي ومعتاد على السفر، وسوف يجد البرازيل دونما حاجة لمساعدتي.»

«تعلمين، يا جين، أني لم أقصد ذلك.»

علّق أبوها الذي كان دائماً أكثر دبلوماسية من أمها: «إنها فرصة عظيمة، يا جين، وقد تندمين سائر أيام حياتك إذا لم تقتنصيها.»

«أجل، أعلم أنها فرصة عظيمة.» كانت تبذل جهداً للسيطرة على تماسكها. وجالت ببصرها على الوجوه الثلاثة التي بدت لها عدائية وخالية من التفهم، وتابعت مبررةً تصرفها: «قبل أن أعرف بترقية جيمس كنت قد وافقت على تسلم وظيفتي الجديدة. إن السيد جوسلن أخبرني بنفسه بأن مجلس الإدارة اختارني لهذا المركز. فأدركت بأنهم كانوا ينتظرون قرار السيدة ديفير النهائي كي يعهدوا به إلي. وقد فرحت كثيراً بطبيعة الحال ووافقت على الفور.» رفضت في هذه اللحظة أن تنظر إلى زوجها. فمن الظلم أن يحاول التأثير عليها بذلك التعبير الجامد المستنكر الذي يصعب التعامل معه. لو أنه أظهر استنكاره عبر الكلام لاستطاعت أن تردّ عليه وتجادله، على الرغم من إدراكها التام لخيبة أمله.

هتفت أمها بارتياح أيقظها من شرودها: «يا حبيبتي، أهذا كل ما يقلقك؟ كفّي إذن عن القلق. فالسيد جوسلن

سيتفهم وضعك حالما تشرحين له موقف جيمس، وسوف يحلّك من تعهداتك.»

وهنا سألها أبوها، وكان رجل أعمال بدوره: «هل وقّعت عقداً يا جين؟»

«ليس بعد، إذ لم يكن هناك وقت كاف. أنا...»

هتفت نانسي: «إذن، لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، و...»

قاطعتها جين بتوتر: «أمي! بالطبع لن يستطيعوا أن يطالبوني قانونياً، ولكن، ألا يمكنك أن تفهمي؟ لقد عرضوا عليّ الوظيفة التي ما برحت أسعى إليها بكدّ منذ أن دخلت هذه الشركة. أنا أريد هذا المنصب ولا أريد أن أرى شخصاً آخر يحتله بدلاً مني.»

شعرت نانسي ويات باخفاقها مع ابنتها، فقالت تناشد صهرها: «جيمس! أنا لا أفهم ما يجري! وأنت لن تسمح لها حتماً بأن تتصرف على هذا النحو...»

«أمي!» هتفت جين بغضب.

«لا جدوى من التكلم معي بهذه الطريقة، يا جين. يجب أن تتذكري بأنك امرأة متزوجة ولا يمكنك التصرف على هواك.»

«لقد لاحظت بأني متزوجة.»

«نانسي.» قال جيمس بلطف إنما بشيء من الحزم جعلها تستدير صوبه: «إن جين تعرف موقفي بالضبط وتعرف ما أريدها أن تفعل.»

كان والدها يعبس بقلق، وفكّرت جين بأنه حليفها الوحيد في هذا النقاش. إذ كان يفرط في تدليلها ويدعها تديره كخاتم في اصبعها، وعلّق آلان: «جيمس، أنت ترغب بالطبع

www.liilas.com

في أن تذهب جين معك؟ فأنتما تزوجتما منذ أشهر فقط... أوه، من الصعب عليّ كثيراً أن أفهم.»

قالت جين بحدة كي توضّح هذه النقطة: «بالطبع يريدني أن أرافقه، يا أبي، ولكن يجب أن ترى بأني... ما زلت راغبة في الاحتفاظ بوظيفتي، فأنا أحب هذا العمل و...»

هتفت أمها مخاطبة صهرها: «ينبغي أن تفعل شيئاً، يا جيمس! لا بد أن هناك طريقة ما كفيلة باقناعها...»

أجاب جيمس بكسل: «لقد بيّنت لها موقفي، ولكن في النهاية يجب أن تقرر بنفسها، فعملها مهم جداً بالنسبة إليها.» كان على الأقل، يظهر بعض الولاء، ملمّحاً إلى أن قرارها كان نتيجة لعدة مناقشات منطقية ومحاولات للوصول إلى تسوية. إنما لم يعلمهما بأن كل تلك النقاشات والمحاولات الحامية لم تسفر عن شيء.

علّقت أمها: «إذن في هذه الحالة، ليس ثمة ما يدعوك إلى...»

«أرجوك، يا أمي!» كانت أعصابها في غاية التوتر وبدوا غافلين عن ذلك. هؤلاء الأشخاص الثلاثة، أكثر الناس أهمية في حياتها، بدوا عاجزين عن تفهم وجهة نظرها، بل أن تعابير الاتهام كانت مرسومة على وجوههم. أوه، لماذا قرّرا المجيء إلى هنا في نهاية الأسبوع هذه؟ لقد أملت بأن يدعمها أبواها إلى حد ما، إلا أنهما خذلاها... أحست بغصة في حلقها... فمنذ نعومة أظفارها كانا خير سند لها، يراقبان صعودها درجات النجاح بمحبة وإعجاب، أما الآن، وهي في أمسّ الحاجة إلى مناصرتهما... شقّ عليها الأمر فأرادت أن تصرخ وتحتج ولكنهما كانا ما يزالان

يصوّبان إليها نظرات الاتهام. وهتفت: «وأنت، يا أبي... كم سمعتك تناصر آراء المرأة وتدعم حقّها في أن تُعامل كانسان مسؤول، أما الآن، وقد وُضعتَ على المحك، فأراك تتخلى عن كل حس بالتوازن والإنصاف.» ازدادت تحمساً للموضوع فتابعت بحرارة وانفعال: «لاحظت بأن كلاكما لم يُلمّح حتى إلى أن جيمس يستطيع أيضاً أن يتخلى عن فرصته المهنية هذه، إذ من المُسلّم به في نظركما، أن تقوم المرأة بكل التضحيات المطلوبة. قد يكون من الخير أن نعود إلى العصر الحجري ما دمنا نعيش بعقليته! لنفترض أني كنت عالمة شهيرة فهل كنتما ستعتقدان بأنها مهنة عديمة الأهمية؟ أخشى أن الجواب سيكون نعم.» ثم أزاحت كرسيها وقالت بعدما وقفت: «والآن، أظن أنه لم يعد هناك ما يقال، لذلك سوف أستحم وألجأ إلى الفراش، كان أسبوعي مرهقاً وأنا متعبة.» أعادت الكرسي إلى مكانه بدقة وعناية ثم غادرت الحجرة وأغلقت الباب بتحفظ مدروس.

في وقت لاحق انضم إليها جيمس في غرفة النوم وكانت في هذا الوقت قد عطّرت جسمها بكريم شذي استعملته بعد استحمامها، وجلست على السرير مع كتاب مفتوح أسندته إلى ركبتيها. لم تكن قرأت فيه كلمة واحدة لعجزها التام عن التركيز. انشغلت في استذكار المشهد الذي خلقته في غرفة الطعام. كان محرجاً بالنسبة إليها أن تتصرف كمراهقة وهي في سن السابعة والعشرين، إلا أنها لم تندم على كلمة واحدة من الكلمات التي تفوهت بها... ولكنها قد تتعلم ذات يوم بعض طرق التكتم والخداع لنيل رغباتها.

ولذلك جاءت بقميص النوم الذي ترتديه الآن والذي كلّفها

www.liilas.com

غالياً على الرغم من سعره المخفض، ولكن إذا استطاع أن يخدم هدفها فلن تندم على ثمنه. كان من الساتان الخوخي اللون، صدره مزيّن بالشيفون ومطرز بالدونتيل، وله حمّالتان رفيعتان انزلقت إحداهما عن كتفها حينما انفتح الباب وولج جيمس الحجرة.

تسارعت خفقات قلبها، ورفعت شعرها عن جبينها وهي تراقب تحركاته من بين أهدابها الطويلة. وقف صامتاً على العتبة ثم أخذ يجول في أنحاء الغرفة الواسعة نازعاً قميصه، ومناضلا كالعادة في فك الحلقتين الرابطتين كمّي القميص... لقد مازحته مراراً بشأن هذه العادة، وضحك الآن ضحكة مكتومة، فيما وقف أمام المرآة يفك الحلقتين بجبين مقطب.

شهقت حين وعت بأنه كان يتفحصها بدوره. استقام بسرعة ومشى إلى السرير حيث التقط بدرو الـ البيجاما التي يرتديه عادة من دون القميص، وقال ناظراً إليها ببرود: «كانت تأديتك رائعة في غرفة الطعام.»

وضعت الكتاب جانباً، وحدّقت إلى أظافرها كي تبعد بصرها عنه. إنه يسحرها باستمرار. «لم تكن محضرة، ولكنها حصلت على ذلك النحو.»

استلقى بجانبها على الفراش، وعلّق وهو يركز الوسادة تحت رأسه: «هل تدرين بأنك ما زلت تضعين عقدك؟»

«حقاً؟ أوه، لقد نسيت أمره.» كانت نبرة استغرابها مصطنعة باتقان. ثم غادرت الفراش وسارت إلى منضدة الزينة، حيث شرعت تفك العقد. ثم رأته عبر المرآة يحملق فيها بتعبير غريب ومركز، فتسارعت خفقات قلبها

وأنفاسها. استدارت صوبه وقالت بتوسل ودلال وهي واعية تماماً لوقفتها الجذابة في قميص النوم: «أرجوك أن تساعدني في نزع العقد، فالقلادة صعبة للغاية.» ثم رفعت شعرها عن عنقها، ونظرت إليه من خلال أهدابها نظرة كفيلة بتحريضه. «جيمس...» وعادت توليه ظهرها...

لما وصل إلى حيث تقف ومال على كتفيها، شعرت بالدفء المنبعث من جسمه وقال: «أخبريني، يا جين...»

«ماذا أخبرك، يا حبيبي؟» ثم تحركت قليلاً.

قال بنبرة كسولة وممغوطة بعض الشيء: «تباً لك، ألا تقدرين أن تجمدي لحظة؟» وأخيراً تمكّن من حلّ القلادة واستوضح وهو يناولها إياها: «ألا تنزعين هذه الأشياء عنك أثناء الاستحمام؟ هل تضعينها دائماً؟»

استوعبت سؤاله بصعوبة إذ كان خفقان قلبها العنيف يمحو كل ما حولها باستثناء وجهه الأسمر المرفرف على محيّاها وشفتيه المنفرجتين عن أسنان لؤلؤية.

همست وهي تمرر أصابعها على وجهه: «كلا، ليس دائماً.»

أجابها بهمس مماثل، أرعش جسمها: «من الغريب أن سلسلة القلادة في غاية الجفاف.»

«أجل، هي جافة جداً.» وتطلعت إليه وفي عينيها شفافية داكنة حملت إليه توسلاً ودعوة واهنة... وبراءة.

مضى يقول ويقترب منها: «من الغريب أيضاً أن القلادة لم تكن حول عنقك أثناء العشاء.»

«جيمس...» ناشدته بهمس.

www.liilas.com

«حبيبتي، أيتها الماكرة الصغيرة، لقد طال الوقت كثيراً.»

«يومان كاملان، بلا نهاية.» وقفت على رؤوس أصابعها لتلثمه فاستشعرت استقامة قامته وقوته.

«ثقي يا جين بأني لا أعتزم الانتظار لحظة أخرى مهما كانت الخلافات بيننا.» ثم رفعها عن الأرض وحملها عبر الغرفة وألقاها برفق على السرير حيث وقف برهة ينظر إليها ثم جثم بقربها وقال وهو يأخذ يدها ويضعها على صدره: «تحسسي القلب لتدركي ما تفعلين بي.»

«وهذا القلب أيضاً!» وألصقت يده بصدرها ثم أطفأت الأنوار وغرقا في ظلام ناعم ملؤه البهجة.

«جين، حبيبتي.» همس لها في صوت لاهث: «قولي بأنك ستذهبين معي إلى البرازيل، فهناك سوف نمضي معاً بأوقات رائعة.»

لكنها غمغمت شيئاً لم يفهمه ثم استسلمت للرقاد بعدما تنهدت برضا.

أما هو فاستلقى على جنبه وحملق في الظلام ومضى وقت طويل قبل أن يغفو بدوره.

ريما www.liilas.com

الفصل السادس

كان القطار رطباً ومشبعاً بالبخار، وتفوح منه رائحة كريهة بعد يوم حفل بالملابس المبللة بماء المطر. جلست جين في ركن منه وبها لهفة للوصول إلى البيت كي تستحم بسرعة. حمدت الله على أن آثر دعاها الليلة إلى السهرة، فهي لو أمضت بمفردها ليلة أخرى في الشقة سوف... تنهدت بأسى واستسلمت بسهولة لحلم اليقظة وللحنين الذي بدا الشيء الوحيد الذي يسيّرها هذه الأيام.

اصبحت الحياة، في الشهرين اللذين أعقبا رحيل جيمس مجرد عيش يومي بالنسبة لها، ومع أنها تحب عملها المفعم بالحيوية الفنية إلا أنه لا يكفي لسد ذلك الشيء الجوهري والذي حملها يوم الأحد الماضي على التجول في أنحاء الشقة بحثاً عن... أوه، إنها لا تعرف بالضبط عمّا تبحث. لكنها تقرّ بأنه مرتبط بجيمس وبافتقادها له إلى درجة اليأس. فلا شيء هيأها لألم الفراق عنه، وكونها بلا تجارب أو موارد لم تجد ما يساعدها في التعامل مع الألم. في أي حال... زفرت بارتجاف... يجب أن تبذل جهدها، على الرغم من المصاعب، لتمضي في حياتها ولتقبل حقيقة أن جيمس لم يبدر حتى الآن ولو إشارة واحدة تدلّ على أنه سامحها.

واجهها عبر الطاولة ليلة سفره وقال: «أكرر طلبي، يا جين، بأن ترافقيني إلى البرازيل.» كان وجهه صارماً

ومجهداً، وبدا كتلة من الأعصاب المشدودة. كذلك لم يتأثر بتاتاً بالعشاء الذي أجهدت نفسها في تحضيره كي تجعل منه مناسبة جديرة بالتذكر، ولم يلاحظ الخوان الزهري أو الشموع الخضراء ذات الوميض الرومانسي. وتابع قائلاً وهو، يهز كتفيه كما لو أنه قطع الأمل من اقناعها: «إذا أصررت على قرارك السخيف هذا فسوف أعتقد حتماً بأن عملك أهم من زواجنا بالنسبة إليك.»

«حبيبي!» كانت طوال ذلك اليوم قد أجهدت ذهنها في البحث عن مخرج إلى أن ساعدتها لوتي... على الرغم من استنكارها لموقف جين، وقامت عنها بالاتصالات الهاتفية المطلوبة. والآن، تابعت جين: «حبيبي، اتصلت اليوم بكل مكاتب السفر، وهناك إمكانية... أوه، ما رأيك لو طلبت إجازة قصيرة بعد ستة أسابيع وقضيتها معك؟ بوسعي أن ألحق بك نهاية أسبوع كي أطيل أمدها. وربما، بعد ثلاثة أشهر أذهب إليك في نهاية أسبوع طويلة كي نلتقي في منتصف الطريق. تخيل، يا جيمس، بوسعنا أن ننزل في فندق أوشن باي، حيث سنستمتع كثيراً باستعادة ذكرياتنا، و...» وهنا تلعثمت أمام وجهه الخالي من أي تعبير أو تجاوب، فأردفت: «أعلم بأن ذلك سيكلفنا مالاً كثيراً ولكن... حسناً، ما رأيك باقتراحي؟»

«تعرفين رأيي بالضبط. فأنا أريدك معي طوال الوقت، ولا أريد زوجة تداوم نصف دوام، زوجة تقفز عبر المحيط لتمضي معي ساعة، ثم تعود إلى عملها في لندن مرتاحة الضمير كونها أنت واجبها الزوجي وصار بوسعها أن تمضي في حياتها الحقيقية لفترة أخرى.»

شحب وجهها وحاكى وجهه في التوتر. ومنعت دموعها بالقوة من الانهمار على خديها. كان صعباً عليها أن تفهم لماذا يجور عليها إلى هذا الحد... وقالت: «هذه وجهة نظرك، ولكني أرى الأمر على نحو مختلف. وأنا أحاول على الأقل أن أفعل شيئاً حول...»

«إن كنت راغبة حقاً في فعل شيء. فتعالي معي إلى البرازيل... إنه الحلّ الأبسط.»

هتفت بصوت غاضب ومعذب: «لماذا كل هذا العناد والاصرار؟ لقد ناقشنا الموضوع مائة مرة، وشرحت لك بأني لا أستطيع أن أترك بومونت في الوقت الحاضر، أنا...»

قاطعها بقسوة: «إذن متى ستستطيعين؟ حدّدي لي موعداً يا جين، فلعلنا نتمكن من إيجاد حل. أخبريني متى ستصبحين على استعداد لترك بومونت؟»

«لا أستطيع - يجب أن تتفهم ذلك. أوه، من السهل أن أختلق موعداً محدداً، لأكتشف فيما بعد بأنه غير مناسب.»

كان صوتها يرتجف انفعالاً، وعيناها تترقرقان بدموعها الحبيسة: «ولكني أحاول أن أكون صادقة معك، فإن لم نقدر أن نكون صادقين مع بعضنا البعض، فلن يكون هناك أمل كبير في مستقبلنا معاً.»

«كلا. لن يكون هناك أمل. قد تكونين على صواب.» ثم نظر إليها وكأنه ما كاد يعرفها وتابع: «في أي حال، لا أظن أنه تبقى لدينا الكثير مما نستطيع أن نقوله لبعضنا البعض، ألا ترين ذلك؟»

«جيمس!» شعرت كما لو أن يداً كانت تنزع قلبها من

www.liilas.com

صدرها، وصعب عليها كثيراً أن تصدّق ما يحصل... لهما.

ابتسم بتكلف وقال: «يجب أن أنجز بعض التقارير قبل سفري غداً. وأنت متعبة ولا ريب، لذلك أقترح بأن تأوي إلى الفراش وتنامي. سأتأخر بعض الوقت.»

حملقت به بصمت، إذ خشيت أن تنفجر بالبكاء إذا ما تكلمت. كانت خائفة من كلّ الأشياء التي تحصل لحياتها وعليها. ابتعدت عنه بهدوء وشرعت تنقل أطباق الطعام إلى المطبخ. حيث جرفت عنها بقايا اللحم والكستناء والكريما، ورصّتها في الجلاّية الكهربائية. ثم رفعت خوان الطاولة والفوط ووضعتها في سلّة الغسيل. أخيراً، غسلت الكؤوس البلورية وأعادتها إلى الخزانة.

بعد ذلك امتثلت لاقتراح جيمس فآوت إلى الفراش واستلقت عليه مسهدة تحملق في الظلام وتنتظر انضمامه إليها. ولكن عندما استلقى إلى جانبها، تاقت لأن تمد يدها وتلمسه ولكن كرامتها أبت عليها أن تقوم بهذه البادرة التي قد يعتبرها اعتذاراً. فكيف تعتذر له وهو المخطىء في حقها؟ وهكذا استلقت بجمود وعناد تنتظر منه أن يقوم بالخطوة الأولى، أن يطوّقها بذراعيه مثلما يفعل دائماً كي يذكّرهما هذا العناق بأن كليهما يشكّل نصف الآخر. إلا أنه سارع إلى إطفاء مصباح المنضدة واستسلم للنوم فوراً.

في الصباح، قال إنه يفضّل ألا ترافقه إلى المطار لتودعه. حالت كبرياؤها، للمرة الثانية، دون إعلامه بأنها أخذت إذناً بالتغيّب. كي ترافقه وتودعه. قبلها بسرعة وكأنها قريبة عزيزة، وأعلمها بالترتيبات المادية المتنوعة التي قام بها. ولكنها قاطعته لحظتئذ، من باب المساعدة،

ولكي توقف الألم المعتلج في داخلها: «جيمس، أرجوك ألا تقلق من هذه الناحية. فالمال الذي أجنيه يكفي تماماً لـ...»

«آه، أجل، إذن، هذا هو بيت القصيد، أليس كذلك؟»

«ما... ماذا تعني؟» وفي تلك اللحظة رنّ جرس الباب بالحاح.

قال جيمس وهو يحك خدّه بظاهر يده: «سيّارة الأجرة وصلت.» ثم نظر إليها بحنان مرير، ممزوج بالحزن وقال مجيباً على سؤالها: «عنيت يا جين أن شابات جيلك الاستقلاليات والناجحات يأنفن من إعالة الرجال لهن. والآن، أريدك أن تعتني بنفسك، هلاّ فعلت؟ فأنت مميّزة جداً، يا جين، وستظلين دائماً...» وعاد الجرس يرن متواصلاً فاتجه جيمس إلى الباب وقال متنهداً: «حان الوقت. وداعاً يا جين.» ثم رحل.

الآن، وهي جالسة في القطار، تذكرت طعنة الألم الرهيب وموجة الذهول الكامل اللتين أوشكتا أن يغرقاها، حتى لحظة خروجه لم تصدّق فعلاً بأنه سيرحل، إذ لا بدّ وأن يحصل شيء ما، كأن تُلغى مشاريع البرازيل بطريقة عجائبية، وتمسي واحداً من تلك الكوابيس التي تتوقف قبل أن تحصل. ولكنها أصبحت فجأة لوحدها، وأكثر وحدانية من أي وقت مضى، ومن يوم سفره ظلت وحيدة.

لذلك كانت ممتنة كونها ستجد بعض الترويح في سهرة الليلة. تمهل القطار فنهضت استعداداً للنزول. كان لطفاً من أرثر أن يتعب نفسه كثيراً في تأمين التذاكر، فالأماكن محجوزة لعدة أشهر مقبلة، والله وحده يعلم كم دفع ثمناً للبطاقتين. ثم إنه لا يحب هذه الاستعراضات الموسيقية

www.liilas.com

الخفيفة. ولكن يبدو أنه استشعر حزنها فرغب في الترويح عنها. من ناحية أخرى، ستذهب بعد أسبوعين إلى ساسكس لتمضي إجازة عيد الميلاد مع والديها. ثلاثة أيام كاملة ستتمكن خلالها من الراحة والاسترخاء... إنما سيتوجب عليها أن تختلق لهما سيناريو كاملاً حول نشاطات جيمس في البرازيل.

لقد راسلها بالطبع، مرة أو مرتين، وكانت الرسالتان محشوتين بتفاصيل حول الأوضاع المحلية، واستفاض في شرحه لقصة قطة صغيرة قال إنها لجأت إليه ثم أنجبت مجموعة جراء ولا يطيب لها النوم إلا في الخزانة. إنها رسائل مسلية لو وردتها من عم عجوز، أما أن ترد من الرجل الذي تحب... أجابته جين بالأسلوب ذاته فتحدثت عن انهماكها في المجلة، واصفة بالتفصيل رحلة مقررة إلى باريس في مطلع العام الجديد كي تطلع على أحدث تصاميم الأزياء. افترضت بأنه سيضجر كثيراً لدى قراءته هذه التفاصيل حول حياتها المهنية فهو لم يُظهر مرة أي دلالة على اهتمامه بعملها. أما الآن، فإنها ترثي حالها.

في ذات يوم، استبد بها حنين يائس عجزت عن اخماده فالتقطت سماعة الهاتف وطلبت رقم بيته. أصغت إلى الرنين على الطرف الآخر، وضغطت على صدرها لتسكت وجيب فؤادها، وعندها فقط تساءلت عمّا ستقول له، ولكنه لم يجبها بنفسه، بل ردّ عليها صوت نسائي خفيض ومثير. تلعثمت جين وهي توضح طلبها بالتكلم مع السيد جيمس.

ثم سمعت الصوت المثير ثانية والذي قدّرت بأنه يخص امرأة شابة. تخيلتها سمراء، شديدة الجاذبية ومعتادة

على مصادقة الرجال. «جيمس، عزيزي، المخابرة لك.»

انتظرت جين بضع لحظات ثم تناهى إليها نقر كعب حذاء على أرضية الغرفة، وعادت المرأة لتقول: «لحظة من فضلك، إنه يستحم ولكنه سيأتي ليكلمك.» ولكن لما التقط جيمس سماعة الهاتف وجد الخط مقطوعاً، فافترض بأن المخابرة التي كان ينتظرها من مكتب لندن قد قُطعت لسبب ما. في حين صمتت جين، الممزقة بالغيرة، على ألاّ تخابره ثانية. كان يجب أن تدرك... امتناعه عن الاتصال بها هاتفياً. إنه يعرف مكانها، وما عليه إلا أن يرفع السمّاعة ويطلب الرقم. ولكن صمته المتعمد يخفي وراءه الكثير...

هرعت الآن إلى المبنى وعبرت الردهة بسرعة وولجت المصعد... إن الوقت يداهمها ويجب أن تستعد للقاء آرثر. لمحت الحاجب يخرج من غرفته ويلوّح لها، ولكنها كانت قد ضغطت على زرّ المصعد عندما هتف باسمها وأبلغها بالإشارة بأنه يحمل لها رسالة ما، فآثرت أن تنتظر حتى تنزل ثانية وتتسلمها منه.

تنهدت وهي تفتح الباب الأمامي، ثم رمت معطفها وحقيبتها على كرسيّ في غرفة النوم الإضافية التي انتقلت إليها بعد سفر جيمس، كي تنأى عن مخدعهما الزوجي المليء بالذكريات. ألقت نظرة على ثوب السهرة الذي هيأته مسبقاً هذا الصباح ووضعته على السرير ثم نزعت فستانها. ولمّا توجهت إلى غرفة الحمّام، توقفت فجأة لدى سماعها حركة خفيفة. واقشعر بدنها خوفاً عندما استنتجت وجود شخص آخر في الشقة.

www.liilas.com

كانت هناك مرآة يدوية ثقيلة على طاولة الزينة فاختطفتها وتقدمت بحذر إلى وسط الردهة وهي تتلفت حولها. حتى تأكدت من أن الصوت ينبعث من مخدعهما الزوجي ورأت شعاع نور تحت الباب فخفق قلبها ذعراً. ولما لمحت صورتها في مرآة الجدار اشتد فزعها إذ من الحماقة أن تواجه اللص على هذا النحو... كانت على وشك اقتحام الباب والشروع في الصراخ، فإذ به ينفتح فجأة و... وينتصب على عتبته شكل رجل متدثر بمنشفة زرقاء. ومع أنها لم تر وجهه إذ كان يجفف شعره بمنشفة أخرى، إلاّ أنها ميّزت جسمه الذي عرفته بالتفصيل. قفز قلبها بغبطة وفرح، وبدا لها أن السماء استجابت لصلواتها.

مرّت لحظة قبل أن يدرك جيمس وجودها، قلفَ المنشفة حول كتفيه، وتفحص محيّاها ثم هبط ببصره إلى كتفيها وذراعيها العاريين من الثياب، وأعاده بحذر إلى وجهها، وبخاصة إلى فمها، فأحست بشفتيها تنفرجان مع تسارع تنفسها. ولكنها رأت في عينيه تحفظاً، حجب تلك الومضات العنبرية، ولم تشجعاها البتة على الركض إليه ومعانقته.

اصطكت ركبتاها فتهاوت على كرسي وألقت بسلاحها على الطاولة القريبة: «جيمس! ماذا تفعل هنا بحق السماء؟» ثم اجتاحها الغضب وأطاح بسرورها السابق: «لقد أرعبتني! كان بوسعك أن تعلمني بقدومك.»

«آسف.» ولكن نبرته أنكرت أسفه. «ظننت أن تيد، الحاجب، أعلمك. في أي حال، لم أتوقع أن تبكري في العودة هكذا. فساعات الدوام في المحلة لا تنتهي الآن

حسبما أذكر.» ثم التقط المرآة اليدوية، وسألها وهو يزنها بيده: «ماذا أردت أن تفعلي بها؟»

«ماذا تظن أنت؟ لقد سمعت حركة مريبة فحسبت أن لصاً اقتحم الشقة، وقررت أن أستعملها كسلاح لأدافع عن ممتلكاتك.»

«بهذه الملابس المغرية؟»

فتورد وجهها وأجابت بتحدٍ: «أنا في بيتي، وبوسعي أن ألبس كيفما يحلو لي.»

شعرت بالخيبة والمرارة فنهضت ودخلت إلى غرفتها، متجاهلة أمره. لحق بها ووقف يراقبها.

بعدما لاحظ فستان السهرة الشفاف الممدد على السرير، قال يذكرها: «قلتُ سابقاً إنك بكّرت في العودة من عملك.»

ارتدت روبها وذهبت في دوّامة. فبعد نصف ساعة سيصل آرثر، وهو الآن في طريقه إليها. وأجابت زوجها: «كنت لساخرج هذا المساء.»

سار عبر الردهة، فتبعته ووقفت على باب مخدعهما، فيما اختفى داخل الحمّام، ثم خرج منه على الفور وقال وهو يعقد حزام روبه الأزرق: «يسرني أن تخرجي. يسرني أنك لم تلزمي البيت في غيابي، تعانين من آلام الكآبة والوحدة.»

الوحدة؟ وماذا يعرف هو عنها؟ هو و... امرأته! كان من السهل عليها أن تصرخ في وجهه، لن تعلمه بأن سهرة الليلة هي الأولى منذ سفره، ولكن الوقت غير مناسب، فقد يصل آرثر في أية لحظة.

«لم أتوقع عودتك، يا جيمس. ولو أني عرفت بقدومك

www.liilas.com

فهل تظن فعلاً؟» كان ذهنها يعصف باحثاً عن حل للمشكلة... ماذا ستقول لآرثر عندما يأتي؟ فمع عودة جيمس لا يمكنها أن تخرج معه بأي حال، على الرغم من أن اصطحابها إلى مكان مميز قبيل عيد الميلاد صار تقليداً سنوياً بالنسبة إليه.

أجابها جيمس بجمود وامتعاض: «كلا. في أي حال، أنا نفسي لم أعرف بأني ساعود إلا قبل بضعة أيام. لقد حصل الأمر فجأة. حاولت أن أخابرك ليلة أمس ولكني لم أنجح في الاتصال.»

«أوه.» تذكرت بأنها رفعت سماعة الهاتف ليلة أمس وآوت باكراً إلى الفراش، ولكنها لم تعترف له بذلك واتجه ذهنها إلى أمر آخر: «هل ثمة سبب خاص لعودتك، يا جيمس؟ فالمسافة بعيدة...»

«صحيح. إنها مسافة بعيدة.» كانت نبرته الجافة تسخر على تعليقها السخيف، ولكنها لم تلاحظ ذلك إذ كانت مستغرقة في مراقبته وهو يحني قامته المديدة أمام المرآة ليمشط شعره. «وصحيح أيضاً، أن هناك سبباً خاصاً لعودتي.» كان يراقب انعكاسها بدقة، فرآها تتورد ثم تشحب وهي تتساءل عن ذاك السبب. إنه يعرف بالضبط بما تفكر وكيف تشعر ولذلك كانت كلماته التالية فجة وصريحة: «لقد جرت إعادة تنظيم شاملة في الشركة وبطبيعة الحال...» استدار بسرعة وواجهها وأردف مستنداً إلى طاولة الزينة: «تم الاستغناء عن خدمات عدد من الموظفين الفائضين.»

استغنوا عن خدماته؟ اخترقت الكلمات ذهنها كسهم وللمرة الثانية اضطرت لأن تكبت تلك الرغبة الجارفة في أن

تركض إليه وتعانقه كي تؤاسيه بأية طريقة يتوقع من الزوجة أن تؤاسي بها زوجها... ولكن تعبيره الجامد خنق توقها. وقالت باستنكار: «ليس أنت، لن يستغنوا عنك، يا جيمس. لا، لن يفعلوا.»

«لم لا؟ ما دمت أنت فعلت ذلك.»

تكلم بمرارة بالغة، فداخلها شك بأنه قاد حوارهما وخطط له كي يصل في النهاية إلى انتقامه هذا.

أكّدت لنفسها بعدما دخلت غرفتها وأخذت تضع القلادة والقرطين بأصابع مرتجفة، بأنها كانت تفضل مئة مرة لو أنه صفعها.

وضعت الماكياج آلياً مع أنه كان هذه المرة أكثف قليلاً من المعتاد. ولما وقفت أخيراً أمام المرآة بدا مظهرها مقبولاً، فألوان الفستان الخضراء والزرقاء تناسبها، ولكنها تمنت فقط لو أن جيمس رغب في بقائها معه، كي يتكلما أو لتصغي إليه، بيد أنه خذلها ثانية عندما حاولت الحفاظ على برودها، واستطاعت بعد دقيقة عذاب طويلة أن تقول له بهدوء: «ليست لديّ رغبة في الخروج، فلا بدّ أنك جائع، و...»

«أرجوك، لا تفكري بتغيير خططك من أجلي. ثم...»

«لكني أفضّل أن ألغي هذه السهرة.»

«أنا أفضل ألاّ تفعلي. في أي حال، سيأتي شخص لزيارتي هذا المساء إذ يجب أن نضع خططاً للمستقبل، و...»

«حسناً، إذا كان هذا ما تريد.» لم تصدّق بأنهما كانا يتخاطبان تخاطب الغرباء.

www.liilas.com

«أجل، هذا هو ما أريد.» ثم سار مبتعداً عنها.

حين خرجت لاحقاً من غرفتها، كان ارتدى سروال جينز نظيفاً وقميصاً نيلية وكنزة صوفية. نظر إلى فستانها باعجاب ساخر وقال: «يبدو أنك ستمضين سهرة مميّزة.»

«سنحضر الاستعراض الموسيقيّ الأميركي الجديد.» لم تجد أي جدوى من اعلامه بأنها ابتاعت الفستان من أجله كونه يحب هذه الألوان و... ومضت تقول: «جيمس، أكرر بأني أفضّل البقاء...» وهنا رن جرس الهاتف الداخلي، فالتقط جيمس السماعة لقربه منه: «أهلاً، يا تيد.» ثم أصغى بضع لحظات وهو يركز بصره على محيّاها، وقال: «حسناً، سأبلغها الرسالة. إلى اللقاء.»

ابتسم بمرارة وجمود: «إذن ستخرجين مع آرثر؟» وعاد يتفحصها من أعلى شعرها البراق حتى حذاء السهرة الأخضر والمذهّب، ولاحظت أنه لاحظ اضطراب محيّاها عندما ذكر اسم رفيقها، كان دائماً يرتاب في علاقتها بآرثر ويستنتج أموراً لم تحصل بينهما بتاتاً. وأردف قائلاً: «آرثر يطلب منك الاسراع، فهناك ازدحام في حركة السير وقد تأخرتما قليلاً عن الموعد المحدد.» ثم أشاح عنها والتقط رزمة الأوراق التي كان يعمل بها لدى دخولها الغرفة.

«جيمس، أنا...» كان عليها أن تقوم بمحاولة أخيرة لتصلح بعضاً من سوء التفاهم.

قال ناظراً إليها بشرود: «من الخير أن تمضي. وأرجو أن تشكري آرثر نيابة عني، أخبرية بأنني ارتحت كثيراً حين علمت بأنه كان يصاحبك في أثناء غيابي.»

ريما www.liilas.com

الفصل السابع

على الرغم من ضخامة الانتاج وفخامته، راقبت جين الاستعراض على نحو آلي. فحين تسمع الجمهور يهتف حبوراً واعجاباً كانت تشارك في التصفيق ولو متأخرة قليلاً، وتبادل آرثر نظرات الاعجاب عندما تُخرج نفسها من جيشانها الموجع وتجد عينيه مسلطتين عليها. وكانت مقتنعة بأن شيرلوك هولمز، لو كان حاضراً، لما تمكن من ملاحظة شرودها.

في طريق العودة إلى شقتها شكرته بحماس مفتعل على السهرة الرائعة، وعندما مرّا بالمتنزّه المجاور لبيتها دعته من باب اللياقة لشرب فنجان قهوة.

قال بتردد: «أوه، لا يجدر بي أن أفعل... فالوقت متأخر وأمي سوف تقلق. هذه المنطقة السكنية بعيدة نسبياً، أليس كذلك؟»

«آسفة، يا آرثر، كان يجب أن أعود بسيارة أجرة... لأوفر عليك هذه المشقة. هلاّ غيّرت رأيك وصعدت لتشرب قهوة، سوف يسر جيمس...»

«بل أنا متأكد بأن جيمس يتلهف للاستئثار بك. وهذا ما سأشعره أنا لو كنت في مكانه.»

«شكراً يا آرثر.»

أوقف السيارة أمام المبنى فمالت صوبه وطبعت قبلة على وجنته: «كانت سهرة رائعة، إن ذهابنا إلى المسرح

يعني دائماً أن عيد الميلاد أصبح على الأبواب. ولكني لم أعرف بعد كيف حصلت على التذاكر... هل أحسبك لجأت إلى الرشوة؟»

ضحك خجلاً، إذ سرّه أن تتهمه بالاحتيال هو، الذي لم يحد في حياته، ولو مرة عن الطريق المستقيم. «كلا... لكن هناك طرقاً ووسائل أخرى. والآن. إمضي بسرعة. إذ لا أريد أن يسألك جيمس عن سبب تأخرنا إلى هذا الحد.»

«لن يسأل، لقد كان ينتظر زميلاً، ولا بد أنهما منغمسان في مناقشات مهنية هامة. وبما أن جيمس كان منشغلاً فهو يشكرك على اعتنائك بي. طاب مساؤك، يا آرثر، وشكراً.»

في البداية، وعلى الرغم من المصابيح المضاءة في الردهة، خالت نفسها لوحدها في الشقة. ثم سمعت ضحكة خافتة وأصواتاً مغمغمة، وموسيقى خلفية منبعثة من غرفة الجلوس.

تسللت إلى غرفة نومها حيث نزعت معطفها. وراجعت مظهرها في المرآة. كانت شاحبة المحيّا، إنما لم تحاول التبرج من جديد. كانت مرهقة جسدياً وعاطفياً، وليس لديها ادنى رغبة لتقوم بدور المضيفة الكاملة أمام زميل زوجها. كانت تستطيع فقط أن تطل عليهما من الباب وترحب بالضيف ثم تعود أدراجها إلى غرفتها.

دفعت الباب فواجهها المشهد المألوف، جيمس جالساً على الأريكة، لا يبدو منه سوى مؤخرة رأسه... كان المشهد يحثها على أن تفعل ما كانت تفعله من قبل على نحو طبيعي غريزي... أن تسير إليه، وتلصق خدّها بخدّه وتطوّق عنقه و... وتطلب منه الصفح.

فاجأتها الفكرة وصدمتها إلى حدّ الذهول المؤقت. فقد وعت لحظتئذ مدى حبها له فغشت الدموع عينيها. أجل، يترتب عليها الآن أن تطلب صفحه، فلا بد أنه في غاية الألم والمعاناة. مثلما ستشعر هي في ما لو استغنت بومونت عن خدماتها في يوم ما. ولكن صلواتها استجيبت وعاد إليها. وهي لا تطلب من دنياها سوى وجوده معها في شقتهما الجميلة.

آه، أدركت بارتياح ولأول مرة بأن عدم تخليها عن وظيفتها سيؤهلها الآن لأعالتهما معاً إذا ما دعت الضرورة. لن تخطىء، لعلمها بحساسية جيمس تجاه هذا الموضوع. أجل، إنها تخطىء وتتعلم دروساً مفيدة من أخطائها.

أحسّت بالارتياح لهذه الأفكار، تنهدت، ثم ابتسمت حين لمحت انعكاسها في المرآة ولمحت فستانها الأخضر المهفهف، ذا المظهر الرومانسي الذي يستهوي جيمس عادة. اجتازت عتبة الغرفة فتلقت صدمة ثانية كانت أشد إيلاماً من الأولى، فقد استطاعت الآن أن ترى شيئاً لم تفطن له من قبل. كان الشخص الذي نكره جيمس. أنثى جذّابة تجلس بقربه على الأريكة مثلما كانت هي تجلس.

أغلقت الباب خلفها بصوت مسموع فرفع جيمس رأسه والتقت عيونهما في المرآة. ابتسم لها ابتسامة آلية مصطنعة، ورمقته هي باضطراب. إذ تذكرت لحظتئذ اتهامه الأخير وما سبّبه لها من عذاب، فأدركت كم كانت غبية حين استسلمت بضعف لمشاعرها الرقيقة ورغبتها في المصالحة.

«جين!» وقف وواجهها، ولكنها لم تنخدع بالطريقة

www.liilas.com

اللطيفة التي نطق بها إسمها، فهو ما فعل ذلك إلا ليؤثر على... زميلته.

«لم أسمعك تدخلين.»

«كلا، لم تسمعني. أعتذر إن كنت أتطفل.» ثم استدارت حين اعتدلت المرأة في جلستها وواجهتها بوجه متجمد، ولكنها استطاعت أن تُظهر بعض الاهتمام عندما قال جيمس مُعرّفاً: «حبيبتي، دعيني أعرفك إلى ميراندا دي موبراي، كانت يدي اليمنى طوال مدة عملي في الشركة. ولكني سبق وتحدثت عنها. ولذا تعرفين مدى أهميتها عندي.»

ما أن تفوّهت ميراندا ببعض الملاحظات بلكنة غريبة مائعة حتى حكمت جين عليها بالابتذال، واستعرت غضباً لأن جيمس أتى بها إلى بيته... لا، إلى بيتهما معاً. وفكّرت والغيرة تنهش قلبها، لقد كانت ظنونها الأولى في محلّها. أخطأت بعد ذلك الاتصال الهاتفي بالبرازيل بالتخلي عن تلك الشكوك. إن أرادت وقتها أن تنصف جيمس، ولم تشأ أن تصدّق بأنه على علاقة معها لمجرد أنها تملك صوتاً مثيراً ومغرياً...

الآن... أرغمت نفسها على التمسك بالهدوء وعلى اخضاع جيشانها الداخلي، فقد تبين لها من ناحية أخرى أنها أخطأت حين تخيلتها طويلة القامة، مثيرة النظرات والتصرفات. في الواقع، هي ضئيلة الجسم مع أن عينيها قد تلتمعان بتوهج إذا ما دعت المناسبة. كما اتضح لها بعدما اقتربت منها أكثر، بأنها تقارب الأربعين من عمرها وقد أكّدت ذلك شبكة التجاعيد الدقيقة حول عينيها.

إلا انها كانت جذابة وأنيقة في بساطة. التايور الذي

ترتديه على الرغم من مظهره البسيط، لم يخدع جين الخبيرة في الأزياء. ففي مكان ما من هذا التايور المخملي الأرجواني الذي يتناسب بروعة مع لونها الخمري وشعرها الأسود يوجد اسم مصممه الشهير.

مع زوال توتراتها الداخلية انتفى اعتقاد جين بأن جيمس على علاقة بميراندا، إلا إذا كان وجودهما معاً في البرازيل قد دفعه إلى ذلك... إبتلعت غصتها وتساءلت عمّا إذا كانا قد عرفا بعضهما منذ وقت طويل... قبل أن تلتقي هي بجيمس وتتزوجه...

أصرت على المضيّ في تعذيب نفسها وتحريك السكين في قلبها، ففكرت بأنهما يبدوان متناسبين، كما كانا يتصرفان بمودة وعدم تكلف، وتربطهما صداقة متينة مثلما تربطهما علاقة... توردت جين وعت بأن ميراندا كانت تتفحصها باهتمام مماثل لاهتمامها. ثم نظرت إلى جيمس عندما استفسر عن السهرة.

قالت جين بحماس مصطنع خفف قليلاً من مرارتها: «كان استعراضاً رائعاً ومفعماً بالألوان والموسيقى الخلابة التي يتوقعها المرء في انتاج ضخم كهذا.»

«وكيف حال آرثر؟» ثم استدار إلى زميلته وأردف كما لو أنه يشاركها مزحة خاصة: «آرثر ديفيز هو المسؤول المالي الألمعي في دار بومونت للنشر.»

تجاهلت تعليقه والغضب يستعر في داخلها. كيف يجرؤ على الهزء من آرثر الذي لم يتظاهر أبداً بأكثر من كونه مجرد زميل وصديق لها؟

سألت ميراندا مبتسمة: «هل تحبين الموسيقى؟»

www.liilas.com

ضحكت المرأة وضحك جيمس. ثم قال مشيراً إلى جهاز الستيريو المنبعثة منه الموسيقى الخافتة: «ذلك تسجيل لميراندا.» ثم رفع صوت الجهاز وأسفر الإيقاع الخافت السابق عن عزف غيتار وغناء، وكان تناغماً عاطفياً نابضاً بالحياة، وهذا ما كانت تتوقعه من هذه المرأة، واضطرت للإقرار بينها وبين نفسها بجمال الصوت وقوته وقدرته على الانتقال السريع من مقام عالٍ إلى آخر منخفض للغاية.

مع انتهاء الشريط ابتسمت لها ابتسامة مشرقة مزيفة وعلّقت بسخرية وهي تكبت غيرتها: «خسارة، انك لم تجلبي غيتارك معك. وإلا كنا أقمنا حفلة موسيقية. والآن سأحضّر قهوة لنا جميعاً.»

فيما هي تنتظر غليان الماء في الإبريق أخذ قلبها يخفق باهتياج، صعب عليها إدراك السبب. سمعت خطوات جيمس تقترب من المطبخ ولما نظرت بطرف عينيها رأته يقف بالعتبة، أدركت أن توترها هو سبب اضطرابها. وسألته بصوت مرتعش: «هل تعلم إن كانت تتناول السكر مع القهوة؟»

«إذا جرؤت ثانية على مخاطبة ضيفة على ذلك النحو...»

استدارت بلمح البصر وهتفت: «ضيفة؟ حسبت أنك كنت تنتظر زميلاً!» كانت منفعلة للغاية إذ تذكرت مشاعرها الرقيقة السابقة تجاهه وكيف أوشكت أن تطلب صفحه فشعرت بالمهانة من جراء ضعفها ذاك...

مضى زوجها يقول: «كل من يدخل هذا البيت هو ضيف، بغض النظر عن الهدف من زيارته، وكنتُ وميراندا نحاول

منذ الساعة الثامنة أن نحلّ بعض المعضلات الجذرية، وقد ضحّت بوقتها الثمين لتساعدني.»

تذكرت، بإحساس مفاجىء بالذنب، بأن الطاولة المنخفضة أمام الأريكة كان عليها أوراق مطبوعة مبعثرة، وبأنها لمحت جهاز كومبيوتر صغيراً على السجادة، و...

«وإذا تواقحت ثانية مع الزوّار...»

«لم أكن وقحة كما تزعم.»

«بل اقتربت كثيراً من حدود الوقاحة بحيث بدوت كذلك.»

نظر إليها لحظة وأردف وهو يخرج: «أجل، إنها تتناول سكراً مع القهوة وحليباً أيضاً، إن لم يكن في ذلك إزعاج لك.»

الآن، أينا الوقح؟ تساءلت وهي تراوح بغضب في أرجاء المطبخ. وتخبط الفناجين على الأطباق وتفتح علبة البسكويت اللذيذ الذي ابتاعته لتقدمه لآرثر. ولكن حين عادت إلى غرفة الجلوس كانت قد سيطرت على أعصابها، وأخذت تجانب ميراندا أطراف الحديث بسحر ودماثة، وراعت أن تركز على موضوع الموسيقى فطرحت عليها استفسارات عدّة وسألتها كيف توفّق بين الموسيقى وبين عملها في شركة النفط.

«إذا أردت أن تأوي إلى الفراش، يا حبيبتي...» رفع جيمس بصره عن رزمة الأوراق التي كان يوليها اهتمامه أثناء حديثها مع ميراندا، ففوجئت جين بكلامه واصطبغ وجهها بحمرة ثانية كان لا بد للزائرة أن تلحظها. أما كلمة التحبب التي نطقها برقة ولطف فقد اختارها خصيصاً

www.liilas.com

ليستر بها حقيقة وضعهما الزوجي. ومضى قائلاً: «ثمة أمور عالقة يجب أن أبتّها مع ميراندا.» ولمّا التزمت الصمت، ابتسم لها على ذلك النحو الكسول الجذّاب الذي طالما أحسها بأنها تهوي من حالق... «أعلم أنه يتوجب عليك الاستيقاظ عند الفجر.» ثم أضاف موضحاً لزميلته: «إن عمل جين يتطلب منها جهوداً متواصلة.»

«حسناً.» ولكن كان بودّها أن تقذفه بفنجانها انتقاماً لعواطفها المتأرجحة بين علو وهبوط... وتابعت وهي تجمع الأواني على الصينية: «إن كنت متأكداً من أنك لن تمانع.» ثم ابتسمت لميراندا: «سررت كثيراً بلقائك... لعلنا نلتقي ثانية في وقت ما.» مع أنها كانت تعلم بأن احتمال لقائهما ضعيف في الظروف الراهنة.

«سنلتقي بالطبع.» أجابتها ميراندا بثقة كبيرة... أدهشت جين، ولكن جيمس لمّح عندئذ إلى أن خبر تركه العمل لن يُعلن إلا عندما ينتهي عقده في آخر الشهر... ولمّا وصلت إلى الباب كانت ميراندا قد سبقتها وفتحته لها، وصوّبت إليها نظرة متسائلة من عينيها السوداوين. من يلومها؟ قالت جين في نفسها وهي ترصّ الأواني في الجلاّية الكهربائية، وتحاول عبثاً، اخماد المرارة السارية في كيانها. من لا يندهش من تصرف كهذا يصدر عن شاب موفور الصحة عاد لتوه من السفر؟ ثم أغرق نفسه في مراجعة حسابات طويلة وأرسل زوجته العروس إلى الفراش متحججاً بالعمل مع سكرتيرته التي ربما تتظاهر بأنها كذلك.

بعد ساعات عدّة سمعت أصواتاً خفيضة ثم أُغلق الباب الأمامي وأُطفئت أضواء الردهة، وعادت الشقة تلتف بالظلام

والصمت والوحدة كشأنها سحابة الشهرين المنصرمين.

في اليومين التاليين لم تر جيمس إلاّ لماماً... وكان الذنب ذنبها جزئياً. لقد تعمدت أن تغادر الشقة في الصباح الباكر، وقررت أن تجعل من اقتراب عيد الميلاد عذراً لانشغالها في حال سأل. إلا انه لم يفعل. وغالب الظن أنه كان يُرحّب منّها بتجنب مواجهة غير ضرورية. هذا إلى جانب انشغاله بالعمل.

التقيا صدفة عصر اليوم التالي. كانت قد عادت باكراً إلى الشقة، ووجدته جالساً إلى طاولة المطبخ ومنهمكاً بتفحص الأوراق المعهودة.

ألقت عليه التحية فرفع بصره إليها ثم نهض ليجلب فنجاناً آخر وقال: «لقد صنعت شاياً لتوّي... اجلسي واشربي فنجاناً.» ثم أزاح لها الكرسي بطرف حذائه الملمع.

«شكراً.» تنهدت وجلست بإرهاق. فهي لم تسترح لحظة طوال النهار، ولم تجد مقعداً شاغراً في القطار فاضطرت للوقوف. والآن نزعت حذاءها تحت ستر الطاولة لتريح قدميها المنهكتين، ورشفت الشاي بامتنان، أما جيمس فكان يشع نظافة وأناقة، وبدا كامل العافية بالمقارنة مع مظهرها الكئيب، وبدنها المتعب المحتاج إلى استحمام طويل في الحوض. وقالت هي تحاول اخفاء امتعاضها منه: «أعجب لكل هذا العمل بين يديك وقد استغنت الشركة عن خدماتك.»

رمقها بشرود. ثم بدا أنه توصل إلى قرار معيّن. فحزم الأوراق وشرع يرصّها في حقيبته: «أجل، اعتقد أن ذلك

www.liilas.com

يبدو غريباً، ولكنني أريد أن أسلّم ملفاتي كاملة ومنظّمة... وبطبيعة الحال، هناك أيضاً اتصالات يجب أن تُجرى... للمستقبل.» ثم نهض وعدّل ربطة عنقه استعداداً للخروج: «أوه، في المناسبة...»

«ماذا؟»

«اتصلت أمك هاتفياً قبيل وصولك.»

«حقاً؟» كانت قد نهضت لتأخذ فنجاناً إلى المجلى ولكنها جلست من جديد وقد خانتها ركبتاها. كانت، منذ عودته، تؤجل الاتصال بوالديها، وتسهد بسبب ذلك وتتساءل، كيف ستضعهما في الصورة؟ هل تكتم عنهما خبر عودة جيمس عندما تزورهما في إجازة عيد الميلاد، أم يتوجب عليها أن تمهد للأمر...»

مضى جيمس يقول موضحاً: «بدت متفاجئة بعودتي.»

«من الطبيعي أن تفاجأ. فأنا لم أجد الوقت لأتصل بهما.»

«بدت مبتهجة، ويتوقعان بالطبع أن أنضم إلى الحفل العائلي في عيد الميلاد.»

«إذن...» كانت منذهلة من تطور الأحداث فنظرت إليه وكرّرت بتوكيد: «إذن، ماذا قلت؟ أي عذر قدّمت لهما؟»

«عذر؟ لم يخطر لي أن هناك حاجة لاختلاق عذر. لقد شكرتها وقلت إنني أتشوق لذلك اللقاء.» ثم نظر إلى ساعته والتقط حقيبته: «يجب أن أمضي كي لا أتأخر.»

«جيمس، لا يمكنك أن تمضي وتتركني محتارة! فالوضع سيكون شائكاً جداً، وأنا لا أريد أن أحزنهما و...»

«هل لك أن تؤجلي الموضوع، يا جين؟» تنبهت للتعب البادي عليه فرقّ قلبها ووجدت في ذلك صدى لمشاعرها.

ووعت لأول مرة، بأن تحت ذلك المظهر الأسمر يوجد رجل مرهق ومتوتر... ولكن، هل الرجال على غرار جيمس بارنارد يشعرون حقاً بالتعب؟ استطرد: «لا أرغب بتاتاً في اقلاق والديك، وأوافقك رأيك بأنه يجب أن نتكلم، إنما ليس الآن. لنؤجل ذلك إلى ما بعد عطلة الميلاد، ولن يصعب علينا كثيراً أن ننتظر وأن نتظاهر أمامهما بأن أمورنا على ما يرام، رأفة بهما. فأنا أشعر بأني أدين لهما بذلك وأكثر مما تشعرين.» اغرورقت عيناها بالدموع فسارت إلى المجلى وتشاغلت عنه. ولكنه تقدم ووقف بقربها: «هل توافقينني رأيي؟»

«حسناً.» استدارت إليه متماسكة الأعصاب وأخذت تجفف الفنجان بعزم.

«عوفيت، يا جين.»

فوجئت بما انطوت عليه هذه الكلمة من لطف واستحسان، فأولته ظهرها وعضّت شفتها بقوة. ثم لمس كتفها وتابع بصوت مرح: «سوف أتركك أولاً حتى تحصلي على العلاج الشافي الذي يدعى باريس، ومن ثم نفكر معاً في إيجاد حل، وأعدك بأن يكون حلاً سلمياً. هل أنت موافقة؟» عبث مجدداً بشعرها الناعم. فأومأت برأسها خشية أن تتفوه بأشياء غبيّة: «حل سلميّ...» ظلت الكلمتان تترددان في ذهنها لفترة طويلة بعد خروجه. شعرت بأنهما تحملان تهديداً معيّناً لم تدر كنهه إلى أن تذكرت بأنهما كثيراً ما تُستعملان لوصف طلاق حبي... مع أنها لا تؤمن بوجود طلاق من هذا النوع.

عادت مساء السبت متأخرة لتجد الشقة خالية، فبدا أن

www.liilas.com

شراءها أغراض زينة الميلاد سيذهب سدى. كان جيمس قد تغيّب ليلتين متتاليتين، وأملت أن يأتي هذه الليلة... ولكنها عذرته، بسبب انهماكه في اجراء أكبر عدد ممكن من الاتصالات كي يؤمن لنفسه منصباً جيداً في نهاية الشهر.

أمضت بضع دقائق في تصفح صحيفة يومية، وخطر لها أن تطهو لنفسها وجبة مغذية، ولكنها كانت قد أكلت عند الظهر وسيكون أسهل عليها أن تقصر عشاءها على الساندويتش والقهوة. فيما كانت تُخرج سمكاً مدخّناً من الثلاجة رنَّ جرس الباب دونما توقع، ووجدت نفسها، تعدو صوبه بلهفة، قبل أن تتذكر بأن جيمس لا يدق الجرس أبداً. إنه يدخل دائماً مستعملاً مفتاحه، خشية إزعاجها، ومع ذلك لعله هو...

لما فتحت الباب استطاعت على الأقل أن تخفي معظم معالم خيبتها وهي ترى ميراندا دي موبراي تقف على العتبة. كانت تلبس بنطالاً ضيقاً وسترة مخملية قصيرة وقد أظهرت ابتسامتها لمعان أسنانها الناصعة. وقالت وهي تلج الشقة: «الحمد لله! اعتقد جيمس بانك لن تكوني في البيت، ولذا يسرني أنك هنا.» حزّ في نفسها أنها لا تخرج في السهرات هذه الأيام. قادت الزائرة إلى غرفة الجلوس ثم أنتابها قلق مفاجيء، لا منطقي واستفسرت بلهفة: «جيمس بخير، أليس كذلك؟»

«إنه بألف خير.» أخذت ميراندا تبحث في حقيبة كبيرة كانت وضعتها بقربها على الأريكة ثم أخرجت دفتر ملاحظات وأردفت: «هو بحاجة لبعض الأوراق المهمة وقد أرسلني لآخذها إليه.»

«فهمت.» لم تشأ أن تهين نفسها أمام هذه المرأة، باستيضاحها المزيد من المعلومات، ولكنها شعرت أن من حقها أن تعلم: «من أين أتيت؟»

«من أبيردين... جئت جوّاً بطائرة الشركة وسوف نقلع ثانية، حالما أحصل على هذه الوثائق.»

«فهمت. لا أظن أن لديك وقتاً لشرب القهوة؟ لقد جهزتها لتوّي.» ولم تدر لماذا عرضت عليها ذلك، فهي ليست مستوحشة إلى ذلك الحد.

أجابت ميراندا: «القهوة ستنعشني كثيراً، ومن المؤكد أننا سنتأخر في الإقلاع ريثما يزوّدون الطائرة بالوقود.» فتحت دفتر الملاحظات ثم أخرجت نظارة من حقيبتها ووضعتها فوق أنفها وقالت: «هكذا أفضل... يوسعي الآن أن أقرأ الكلمات. جيمس يطلب منك أن تسلميني اضبارة خضراء رقمها ٢٥ د، موجودة في درج مكتبه الأعلى. هل لي أن استعمل حمامك ريثما تأتين بها؟»

لمّا عادت ميراندا إلى غرفة الجلوس كانت جين قد هيأت القهوة على الطاولة ثم سلّمتها الإضبارة، فوضعتها فوراً في حقيبتها. احتست القهوة بنهم ثم استرخت على المقعد بارتياح وقالت: «لم استرح لحظة منذ الصباح... وحتى في الطائرة طبعتُ بعض التقارير. في بعض الأحيان أحس بحنين جارف إلى البرازيل. فنمط الحياة هناك أكثر مدعاة للاسترخاء.» ثم هزّت كتفيها وأردفت مبتسمة: «مَنْ ينظر إليّ لا يخمن بأني أحمل دماً انكليزياً، من عائلة والدي.»

«إذن، تعتبرين البرازيل موطنك الأول، أليس كذلك؟»

انجذبت جين إلى ميراندا على الرغم منها، وما عادت

www.liilas.com

تشكل تهديداً بالنسبة إليها، كما وجدت فيها شيئاً مفعماً بالحيوية والجاذبية.

«لقد ولدتُ في المكسيك، موطن أمي، ولكن عمل والدي كان يضطرنا إلى الانتقال المستمر... إنما اعتبر نفسي بالتأكيد مواطنة أميركية جنوبية مع أن والديّ مستقران في الولايات المتحدة.» وهنا عرضت عليها جين مزيداً من القهوة، فقالت وهي تمدّ لها فنجانها: «شكراً، فقهوتك لذيذة... هناك سرّ في البرازيل يلائم شخصيتي تمام الملاءمة. قد تكون الموسيقى. لست أدري، ولكنني أحب ذلك البلد وبخاصة ريو دي جانيرو. خسارة أنك لم تتمكني من مرافقة جيمس، ولو أنك فعلت لكنت استمتعت كثيراً. أجل خسارة، فذلك المنصب كان واحداً من المناصب القليلة التي تخصص للرجال المتزوجين... ولا تتوفر دائماً حتى في شركة ضخمة مثل أتلانتيك أويل، ومن ناحية ثانية، بوسعي أن أتفهم وجهة نظرك فأنا أيضاً متحمسة لمهنتي وأتمسك بها.» ثم نظرت إلى ساعة الجدار وأردفت: «يجب أن أمضي بسرعة.»

شيعتها جين إلى باب الشقة، وهناك توقفت لحظة لتقول: «أوه، طلب جيمس أن أبلغك حبه.» كانت ترفع حاجبيها بتساؤل. ثم توارت قبل أن يخطر لجين أن تسألها عن موعد عودة زوجها.

شعرت بتوتر عندما أصبحت لوحدها، ولم تتمكن من تحديد أسبابه. لم تكن منزعجة من اكتشافها بأن جيمس تباحث مع ميراندا في أمورهما الخاصة... فهو كان مضطراً لتقديم تبرير ما. عادت إلى غرفة الجلوس وأدارت

التلفاز من باب العادة لا من باب الاهتمام، ثم خفضت الصوت وراحت تستذكر حديثها مع ميراندا.

هناك شيء حول ميراندا، شيء معينٌ ذكرته... ومع ذلك كانت مثالاً للودّ والدماثة، وطبيعية في تصرفها ولا تشكل أي تهديد لزواجها، وحتى لكنتها الغريبة بدت أقل بروزاً بعدما اعتادت أذنها عليها... ولكنها قالت شيئاً معيّناً أيقظ فيها جملةً من المشاعر المقلقة. فماذا قالت بحق السماء؟

كرّرت ذاكرتها فجأة الكلمات التي كانت تسبب لها كل هذا التوتر الذهني... «ولو فعلت. لكنت استمتعت كثيراً... كان واحداً من المناصب القليلة التي تخصص للرجال المتزوجين...» للمتزوجين وليس للعازبين...

لقد انطوت هذه الكلمات على تهديد محدد وهام فما هو؟ ثم صفعها التفسير بقوة جارحة حين ادركت الحقيقة المُرّة المذاق. لا يعقل أن يكون مجرد صدفة كل ما جرى... زواجهما السريع، لهفة جيمس وإصراره على أنه يسعى إلى ما هو أكثر من علاقة عابرة.

تأوهت باستنكار، وتناولت إحدى الوسائد الناعمة ولفّت ذراعيها حولها. ثم عادت بها الذكريات ركضاً إلى تلك الليلة في جزر الكاريبي، حينما أعلمها بأنه مضطر لمتابعة سفره في الصباح التالي. كانت مشاعر الوداع تعذبهما وهما يسيران على الشاطىء بأقدام حافية، ويتعانقان بحرارة يائسة وقد ابتعدا كثيراً عن الفندق.

قال لها لحظتئذ: «إذن، ليس أمامنا سوى حلّ واحد، أليس كذلك، يا حبيبتي؟» كانت صفحة وجهه تبرق كالفضة في ضوء القمر، وتسللت يده إلى خصرها.

www.liilas.com

«ماذا تقصد؟»

«يجب أن نتزوج... الآن. أو غداً في أبعد تقدير.»

هتفت والفرح يهدر في عروقها: «جيمس! هل من الضروري أن ننتظر إلى الغد؟ لماذا ليس الآن؟ هُنا، يا جيمس، وعلى التو.»

توقفت يداه عن مداعبتها وقال هامساً في أذنها: «كلا، ليس هنا. فلقاؤنا الحميم الأول يجب أن يكون كاملاً من كل النواحي وليس...» وضحك بتوتر قبل أن يردف: «ليس على رمال شائكة. ولكن إذا وعدت بأن تتزوجيني في خلال الأيام القليلة المقبلة، فأعدك بدوري بأن أبذل قصارى جهدي ليكون لقاؤنا كاملاً.»

قد كان كذلك بالنسبة إليهما. غصّت الآن وبكت قهراً، وقذفت الوسادة بعيداً عنها، والآن... داخلها خيط من الشك... هل كان يسعى إلى ذلك المنصب في البرازيل قبل أن يلتقيها؟ تلك الوظيفة التي تشترط أن يكون المؤهل لها رجلاً متزوجاً.

كان كلّ ذلك كثيراً عليها. مسحت دموعها بتوتر. ورفضت أن تمضي في التساؤل والتفكير. وعلى الرغم من تصميمها، طرأت عليها فكرة أخرى مقلقة. هل فقد وظيفته لأنها أحجمت عن مرافقته؟ لأنه عجز عن إحضار الزوجة المطلوبة؟ هل كان هذا ما يعني، عندما أتهمها بمرارة بأنها هي أيضاً استغنت عن خدماته؟ وإذا كان ذلك واقع الحال، فهل ثمة احتمال بأن يصفح عنها في يوم ما؟

ريما www.liilas.com

الفصل الثامن

كان ذهنها قد اصبح في غاية الصفاء، عند حلول الصباح. ليلة الأرق الطويلة زوّدتها بالوقت الكافي لكي تصل إلى قناعتها الخاصة. فضلت أن تواجه الحقيقة، على الرغم من كرهها للاستنتاج الذي وصلت إليه. كان جيمس يعلم بوظيفة البرازيل عندما التقيا، وكونه رجلاً طموحاً... كل تلك الإنكارات السابقة كانت مجرد هدهدات لضميره... وجد في الزواج منها سانحةً لا تعوض، عجز عن مقاومة اغرائها. فاستمر يضغط عليها ويرغبها.

تذكرت الآن عباراته تلك وما أسهل التذكر: «حبيبتي، لا أريد أن نقيم علاقة عابرة تنمو وتزهر وتموت في أيام قليلة.» ولما همت بالكلام، وضع راحته على شفتيها، وابتسم لها وسط ذلك الليل الاستوائي الرقيق فإذا بها أسيرة مشاعرها. «لا تتكلمي، يا حبيبتي! لن أعطيك أي مجال لتفكري بأي اعتراض. إن اقتراحي الزواج، اقتراح شديد التهور وقد يبدو جنوناً لأناس آخرين ولكنه بالنسبة لشخصين مميزين مثلنا، سيكون خطوة صائبة ورائعة.»

لكن الاعتراض كان أبعد شيء عن ذهنها، فمشاعرها المتقدة كانت تطالب بذلك الزواج الذي سيؤكد حبهما الكبير. لقد كان على حق، فهما مميزان فعلاً وزواجهما السريع كان الوسيلة الوحيدة لإظهار ذلك.

ليس لديها أدنى شك في أنه انجرف مثلها مع تلك

المطالب العاطفية العنيفة. ولا شيء كان ليقنعها بأن قراره بالزواج منها كان قراراً مادياً، ولكن من اليوم فصاعدا ستظل تحمل في ذهنها هذا الشك الصغير: هل كان ليقنع ويكتفي بعلاقة عابرة معها لو لم يكن يتطلع إلى ذلك المنصب في البرازيل وبخاصة أنها أبدت له رغبتها بوضوح؟ في أي حال، كان عليه أن يطلعها على الأمر ويتيح لها الفرصة لإبداء رأيها. ولو أنه فعل ذلك لكانت وضحت له مدى الأهمية التي تعلّقها على طموحاتها المهنية... ولكانا نعما بأسبوعين مثاليين...

لقد ظنت أنها ذرفت، ليلة أمس، كل ما لديها من دموع ولكنها عادت الآن تتجمع وتهدّد بالانهمار، فشرعت بنشاط غير عادي. تقوم بأعمال نهاية الأسبوع المنزلية. وضبت محتويات الخزانة والأدراج في غرفتها، ولمّا عثرت على صندوق الزينة الميلادية التي ابتاعتها يوم أمس نظرت إليها باستياء ثم أخفتها خلف بعض الحقائب في حجرة الحاجيات. وبعد ذلك انهمكت في لفّ الهدايا التي ستحملها معها إلى والديها عشية الميلاد... إنها ترهب هذا الاجتماع العائلي. ولأول مرة في حياتها تتطلع إلى موسم العيد بكآبة وانقباض.

قد يكون رثاؤها لنفسها انعكس على جوابها حين رفعت سماعة الهاتف وسمعت صوت زوجها على الطرف الآخر المشوّش.

«جين، أنا جيمس.»

«أوه، نعم؟»

«ما أزال في أبيردين ويبدو أني سأمكث يوماً أو

اثنين. أوه، شكراً على تسليمك الوثائق لميراندا...»

كان رأيها في ميراندا ما يزال يتأرجح بجنون، وشعرت في هذه اللحظة، بسخط عليها، فقالت تجيبه: «وهل وصلت بالسلامة؟ لا ريب أن كثرة الأسفار الادارية ترهقها.»

«ربما، فأنت خبيرة في الأسفار.»

أجابت بجفاء: «أوه، لا أظن أن رحلاتها يمكن أن توصف بالادارية.»

«حقاً؟» صمت طويلاً، فأدركت أنه كان يذكرها بأنها هي التي اختارت البقاء ومعاناة التنقل اليومي المضجر بالقطار ثم تابع: «لا موجب لأن تحسدي ميراندا، فعمّا قريب ستقومين برحلاتك الخاصة. وأنا أكيد بأن باريس ستكون أكثر فتنة من أي بلد آخر ستذهب هي إليه. في أي حال، لقد خابرتُ لأعلمك بأني سأظل مرتبطاً بالعمل حتى وقت متأخر من عشيّة الميلاد، ولذا اقترح أن تستقلي القطار إلى ساسكس بُعيد الظهر، وسوف أوافيك إلى هناك. جين، أما زلت على الخط؟»

«أجل، لقد تبلغت الرسالة.» لم تجد جدوى من الشرح بأنها تأخرت في الرد بسبب صلاة الشكر القصيرة التي تمتمتها. فكلما قصر الوقت الذي سيمضيانه مع والديها كلما خف قلقها وتوترها... «قلتَ إنك ستصل في وقت متأخر؟ هل تعرف متى بالضبط؟»

«ربما قرابة العاشرة. ولكن لا تنتظروني على العشاء فأغلب الظن سأكون قد تناولت عشائي. وإذا حصل أي تغيّر في البرنامج، فسأتصل بك هناك.»

www.liilas.com

«حسناً.» أوشكت أن تبكي ولكنها لا ترغب بتاتاً في أن يعرف جيمس مبلغ تعاستها...

«هل الأمور على ما يرام في بومونت؟» وللحظة استشعرت نكهة حزن وحنين في صوته... ثم أردف: «هل حطمت مبيعات الميلاد كل الأرقام السابقة؟»

«أجل، فقد فاقت مبيعات العام الماضي بنسبة خمسين بالمئة.»

«لا ريب أنك مسرورة بهذه النتيجة.»

«أجل، ولكن بعض الفضل يعود للسيدة ديڤير بالطبع، لكن...»

«طبعاً. جين، يجب أن أنهي المكالمة، فهناك مخابرة على الخط الآخر. سأراك في ساسكس. إلى اللقاء.»

في وقت لاحق، حين شرعت بكي ثيابها استعداداً لليوم التالي، عاد التساؤل السابق يلحّ عليها... لماذا ما يتفك جيمس يعمل طوال الوقت، ما دامت الشركة استغنت عن خدماته؟

كانت عشية الميلاد، بالمقارنة مع رطوبة الأيام الماضية ومطرها، منعشة ومشرقة، على الرغم من الهواء البارد قليلاً، الآتي من البحر. لاقاها والدها في المحطة، ولدى وصولهما البيت، تناولوا شطائر وقهوة ثم اقترح عليها أن يتمشيا في الحقول، وقال يحثها: «أنظري إلى ذلك الكلب! علينا أن نرعاه ريثما يعود إدغار وموالي من السفر، وأريده أن يمرح قدر المستطاع.» وكان الكلب الذهبي اللون يجثم أمامهما متلهفاً للانطلاق.

علّقت نانسي وهي تمسد رأسه: أشعر وكأننا عدنا إلى

سالف الأيام. أتذكرين كيف كان بران يطير فرحاً بالنزهات؟ فما أن ينهض احدنا عن الكرسي حتى يشرع بخبط ذيله على السجادة.»

«أجل، أذكر.» بلعت ريقها وهي تفكر بذلك الجرو الذي جلبوه من مأوى الكلاب. حنّت إلى الأيام الخوالي عندما كانت الحياة أقل تعقيداً وعاطفية، مع أن قلبها انكسر حين نفق بران، ودفنوه تحت شجرة التفاح في الحديقة الخلفية.

«هل فكرتما أنت وأمي في إقتناء كلب آخر؟» سألت أباها وهما يسيران بخطى حثيثة عبر الريف المشجر، وكانت رمت غصناً لجوس، فطاردته عدواً ورجع به فوراً، حيث ألقاه عند قدميها وأخذ ينبح مطالباً برمية أخرى.

أجابها والدها: «كلا. فأمك لا تحبذ ذلك، ولا سيّما أنني سأتقاعد قريباً. وقد نقرر أن نسافر. ولذلك من السخف أن نرتبط برعاية كلب.» استدارا وعادا أدراجهما على درب ضيقة وأردف والدها: «قد تفكران أنت وجيمس في اقتناء كلب في المستقبل القريب.»

«كلا، فتربية الكلاب مستحيلة في الشقة.»

«لكنكما لن تعيشا فيها إلى الأبد، أليس كذلك؟ لديّ انطباع بأن جيمس قد يُفضل يوماً ما أن يستقر في الريف. والآن، وقد عاد من البرازيل...»

قاطعته بسرعة: «من المبكر جداً أن نرسم خططاً مستقبلية». ثم غيّرت الموضوع بقولها: «أحمد الله على اننا اقتربنا من البيت، فالطقس أصبح أشد برودة مع مغيب الشمس.»

«سوف أدخّن قليلاً قبل أن أدخل. والدتك تحاول إقناعي

www.liilas.com

بتخفيف التدخين ومن الخير أن أفعل ذلك...» ثم توقف عند الناصية وأشعل غليونه ونفث الدخان ليضع لحظات قبل أن يتابع سيره. ولما صارا أمام البيت قال: «يبدو أن لدينا زائراً. فالتفتت جين التي كانت منشغلة بملاعبة الكلب ثم وقفت بلا حراك وحدقت في السيارة التي تعرفها تمام المعرفة.

ظهرت أمها على العتبة وهتفت: «إنها مفاجأة رائعة!» كانت الردهة خلفها مضاءة بأنوار لطيفة ومزدانة بالنباتات المتدلية. استطردت نانسي: «لقد وصل جيمس ولكنه صعد إلى غرفة النوم ليضع حقيبته فيها.» وقبل أن تنهي كلامها رأت زوجها يهبط السلم بتلك الرشاقة اللينة الملازمة لحركاته والتي ما تنفك تجذبها إليه على الرغم منها. كان يرتدي ثياباً فاتحة الألوان، ويضج بسيماء القوة والثقة والتي استرعت انتباهها، لحظة وقع بصرها عليه لأول مرة في المطار.

«أهلاً، يا حبيبتي.» ولما عبرت العتبة انحنى عليها ولمس وجنتها بوجنته. لم تكن قبلة بالمعنى الصحيح إنما كانت كافية لايهام الآخرين بأنها كذلك. ثم تابع تمثيله البارع وواصل كلامه مبتسماً: «لقد لبيتُ طلبك كما ترين، بذلت قصارى جهدي كي أتمكن من الإفلات.» ثم جسّ خدّها بظاهر يده، وقال: «أوه، لقد بردت. هيا أدخلي إلى دفء المنزل.»

«برد وجهي فقط.» أجابته باقتضاب ثم نزعت الشال والسترة عنها، ودخلت غرفة إيداع الثياب لتعلقهما هناك. لما رأت محيّاها المتورد في المرآة، عزت ذلك إلى تأثير

الهواء البارد... وقد يكون أيضاً بسبب رؤيتها جيمس على حين غرّة، ثم ازداد توردها حين رأته عبر المرآة واقفاً على العتبة ولكنها أشاحت عنه.

قال معلقاً: «إن التورد يلائمك.» فلم يسعها إلا أن ترمقه بسرعة. كان ذلك كافياً لإثارة عواطفها، رفعت يدها إلى عنقها لتحجب عن بصرها قامته المديدة القوية ولم يكن ذلك سهلاً.

لدى ولوجها الردهة ابتسمت بارتياح حين رأت أمها تخرج من المطبخ، حاملة صينية الشاي، فسألتها: «هل أحملها عنك، يا أمي؟»

«فكرت أن أهيّىء وجبة خفيفة، تسد جوعنا ريثما يحين موعد العشاء.»

خف جيمس إليها وأخذ الصينية منها مبتسماً لها ابتسامة أخاذة، سحرت نانسي وأثارت غيظ جين فعلقت بحدة: «سأذهب لأنادي والدي فهو بحاجة لشرب الشاي مثل أي شخص آخر.»

كانت فترة العشاء لطيفة، ومع أن جين مالت إلى الصمت معظم الوقت، الاّ أن أبويها لم يلاحظا هدوءها لتركيزهما المبتهج على صهرهما العزيز. كان جلوسها قبالته يشعرها بالحلاوة والمرارة في آن، ولكن يجب ألا ترخي العنان، وتدع نفسها تنبهر بحديثه المعسول والممتع، وهو يروي قصة طفولته في الهند حيث عمل أبواه في حقل الطب.

سمعت أمها تعلق وهي ترفع أطباق الحساء عن المائدة: «هذا محزن بالنسبة إليك، يا جيمس إذ كنتَ تأمل بأن يرجعا إلى انكلترا في الوقت...»

www.liilas.com

«أجل.» ردّ متنهداً. رمقته جين، وإذا به يخفض بصره، فتبدو أهدابه الطويلة مثل حواش حريرية على بشرته. وهنا تاقت بمجامع قلبها أن تنهض وتسير إليه لتريح رأسه الحزين على صدرها. تابع قائلاً: «أملت بأن يعودا...» ثم هزّ كتفيه ورفع بصره، ولما رآها تراقبه كسا تعبيره برود شديد بدا منصباً عليها وحدها... شعرت بالهشاشة فرفعت يدها إلى عنقها كأنما لتحميها من عدو، وحين نظرت إليه ثانية كان يرفع حاجبيه استكباراً، فما عادت تفكر إلاّ في آلامها وكفت عن الإصغاء إلى بقية الحوار.

«هذا السمك لذيذ جداً، يا أمي.» قالت، بعد قليل، كي لا يلاحظوا بأنها أخذت أصغر سمكة، واكتفت بحبة صغيرة من البطاطا.

قال جيمس، مفحماً نفسه كالعادة: «إنه حقاً لذيذ، يا نانسي، وكذلك صلصة الليمون والزبدة التي تذوقتها الآن لأول مرة.»

«يسرني أنك استطبتها. نحن دائماً نتناول طعاماً بسيطاً عشية الميلاد. رف الثلاجة كان مليئاً بالسمك الذي اصطاد منه في الوقت الحالي كمية كبيرة...» نهضت وشرعت ترفع الصحون وأطباق التقديم وقالت لجين: «هل لك أن تجلبي الحلوى، يا عزيزتي؟» ثم خاطبت جيمس معتذرة: «إنها فقط مهلبية خبز وزبدة.»

«لا ريب أنها لذيذة مثل سابقاتها التي تناولتها عندكما، فأنت ماهرة في صنعها.» ولما وصلت جين إلى المطبخ تناهى إلى سمعها صوته وهو يقول لأمها: «لو أني عرفتك قبل أن أعرف جين لكنت سعيت إلى الزواج منها بناءً على

مهلبيتك اللذيذة وحدها!» ازداد غيظ جين وأخذت تغسل الأطباق وتطرطقها غير مبالية بإخماد مرارتها... ماذا سيفعل تالياً؟ في البداية تزوجها طمعاً منه في وظيفة البرازيل، والآن يريد فتاة، لها أم تتقن صنع مهلبية الخبز والزبدة، يا رب الأرض والسماء... لم تفطن لحظتئذ إلى جهلها المطبق... ومضت تتساءل: أين هو الحب في معادلة جيمس، في حين كان الحب دافعها الوحيد لزواجها منه؟ ولم تتمكن وإن كانت ترغب، في معرفة الجواب.

وضعت على وجهها ابتسامة تمثيلية مصطنعة لما أقبلت عليهم بطبق الحلوى وقالت بمرح: «مهلبية الخبز والزبدة!» ثم جلست على كرسيها وقالت لأمها: «ربما يكون الوقت قد حان لتعطيني بعض الدروس في الطهي، فأنا أجهل تماماً كيفية صنع هذه المهلبية.»

أجابت أمها وهي توزع الحلوى على الأطباق: «سأفعل ذلك في الوقت المناسب، يا عزيزتي، عندما تقررين ترك العمل في بومونت.» وبدا أنها غفلت عن رؤية العذاب المحض الذي ارتسم على وجه ابنتها.

أخرجوا بعد العشاء رقعة السكرابل وكان أمراً مسلّماً به أن يشترك الجميع في اللعب. لم تجد جين عذراً وجيهاً للرفض، واضطرت للجلوس قبالته ثانية ومواجهة نظراته. وراحت، أثناء اللعب تتململ على كرسيها، وتتثاءب بين حين وآخر، وتربت على رأس الكلب، فتحتاج لمن يذكرها ويحثها على متابعة اللعب.

قالت مرة وهي تحاول التركيز على حروفها السبعة المتنافرة: «آسفة، حسبت أن الدور دورك يا أبي.»

www.liilas.com

أجابها مبتسماً: «أعلم أن أمك تتهمني دائماً بالتباطؤ ولكن لا يعقل أن أتكاسل الليلة.» ثم أردف شارحاً لجيمس: «إننا نلعب السكرابل عشية كل ميلاد كي نعطي النساء فرصة للاسترخاء.»

«الاسترخاء!» وضعت زوجته أحرف كلمتها والتقطت الأحجار الثلاثة الأخيرة: «لا يمكن لأية ربة بيت أن تسترخي إلا بعد أن تقدّم وجبة العيد. ولكن الرجال لا يعرفون معنى عيد الميلاد. دورك يا جيمس.»

«أجل.» فكّر لحظة قبل أن يضع كلمته ثم نظر إلى زوجته وقال: «أنت متعبة، يا حلوتي.» لم تستطع جين إخفاء تثاؤبها وتساءلت في الوقت نفسه عن سبب تضايقها من كلمة التحبب هذه، والتي تعتبرها أقل الكلمات حذقاً بين المفردات. وقد يكون اختارها لأنها كذلك. ثم التفت إلى أمها وقال شارحاً: «جين تعمل ساعات طويلة فينتابها الإرهاق، ولا سيّما بعد موسم الميلاد. جين، لماذا لا تأوين إلى السرير حالما ننهي هذه اللعبة؟» السرير؟ هل ذكر السرير وماذا قصد بذلك؟ شعرت بأنفاسها تتقطع وهما يحدقّان في بعضهما البعض.

هتفت أمها وهي تضع حروفها الأخيرة على الرقعة: «انتهت اللعبة وسأجمع النقاط. أجل، يا جين، إصعدي إلى المخدع... فأنت مرهقة بالفعل. ولكن تذكري بأنني لن أحضر إفطاراً خاصاً في الصباح، وعلى كل واحد أن يُطعم نفسه حتى موعد الغداء ولذا لا موجب لأن تستيقظي باكراً، يا حبيبتي. هل أحمل لك شيئاً ساخناً لتشربيه قبل النوم؟»

قالت وهي تعانقها بحنان: «يجب ألا تفسديني بالدلال. أنا

التي يجب أن أخدمك وليس النقيض. أعدك بأن أفعل ذلك غداً. آوه، وعندما أنزل صباحاً إلى المطبخ سأكتفي بالقهوة كإفطار وبعد ذلك نفتح الهدايا. والآن أستأذن بداعي التعب. طاب مساؤك يا أبي. تصبحين على خير يا أمي.»

«طاب مساؤك، يا ابنتي، سوف استبقي جيمس لأتحدث معه حول شؤون معينة. إنما أعدك بأن لا أؤخره كثيراً.»

أجابته أمها: «آمل أن تحافظ على وعدك، يا آلان. فأنا أعرف كيف تنسى مرور الوقت عندما تنخرط في الأحاديث.»

استلقت جين على السرير المزدوج العريض، مستسلمة للتعب. من حسن حظها أن أباها تجاهل تأنيب أمها وأعفاها بذلك من التظاهر بالنعاس فيما لو صعد جيمس معها...

في وقت ما من ساعات الليل المظلمة، مدّت ساقها على السرير فلامست قدمها قدماً أخرى. وطاب لها الاستلقاء في السكون الدافىء وهي بين اليقظة والنوم وطاب لها أكثر احتكاكها ببشرة ايقظت احاسيسها مما جعلها تغمغم شيئاً وتتحرك قليلاً وتطرح ذراعها بعيداً... فإذا بشيء يمتد نحوها يلامسها بلطف...

عادت تلك اللمسة تنشيها، وأحست بعد ذلك بثقل ذراع انقلبت جنبها وشعرت به.

أقنعت نفسها بأنه حلم، وصلّت بحرارة ألاّ ينتهي فلطالما تخيّلت حصوله وانتهى بها الأمر إلى عدم الاكتفاء، والحرمان...

كانت رائحته الحلوة النظيفة فيها وحولها. وراحت يداه

www.liilas.com

تلويان خصلات شعرها وكأنه يبغي تقييدها إليه... وقالت في نفسها متعجبة... لماذا يشعر باضطراره إلى تقييدي وكل ما أتوق إليه في دنياي موجود هنا. وكل ما أرغب في فعله هو أن أعطي... وأعطي...

تناهى إليها صوته من مكان سحيق: «جين، آه كم اشتقت إليك...» ثم وجدت نفسها تستسلم للنوم تدريجياً وقد غمرها سلام افتقدته منذ مدة طويلة.

في الصباح استيقظت بتمهل وبقيت تحت الغطاء إلى أن غزت خلدها خاطرة غريبة جداً فاستقامت جالسة ووجدت نفسها من دون قميص النوم، الأمر الذي أكدّ لها خاطرتها المجنونة. حملقت بخواء في شعاع النور المتسرب من شق الستائر. ثم تدثرت ثانية، وأخذت تمرر راحتها على طول جسمها باستحسان استنكاري بطيء قبل أن يصعقها هول ما فعلت، أو ما سمحت بحصوله وشجعت عليه.

راحت توبّخ نفسها.. كيف استطعت أن اتخلى عن قراري على هذا النحو؟ ومن دون أن استوضحه كل تلك الأمور الجوهرية بالنسبة إليّ؟ لماذا لم تخبرني، يا جيمس، بأن وظيفة البرازيل اشترطت رجلاً متزوجاً بدل أن أعرف ذلك صدفة؟ أما كان بوسعك أن تثق بي؟ ثم لا تنس أنك أنت الذي أصررت على زواجنا... وتلك الليلة، عندما خابرتك إلى البرازيل، لماذا ردّت ميراندا على الهاتف ونادتك من الحمام؟ أوه، لا تنكر... فقد سمعتها تناديك و... أوه، لماذا لم استغل حلاوة اللحظة لأحصل على كل هذه الأجوبة؟ كنتُ سأسامحه بالطبع، ولكن جهلي الآن يشعرني بمهانة كبيرة...

غادرت السرير بقفزة رشيقة واحدة واسرعت في النزول لتستجوبه وكي تبين له إصرارها على معرفة الأجوبة على الرغم من ضعفها الآني ذاك... استحمت بسرعة وارتدت الفستان الجديد وكان صوفياً ناعماً ذا لون ياقوتي أزرق. يلتصق بالجسم وله حزام فضي رفيع يبرز نحولة خصرها و... ثم مشطت شعرها الأسود المتوثب، وزيّنت وجهها بزينة خفيفة، وأخرجت الهدايا من الخزانة.

كان قلبها يقرع كالطبل عندما هبطت الدرج ووقع بصرها على جيمس الذي كان قد عاد لتوه من نزهة مع الكلب... علمت ذلك من أمها... ولكنها سرعان ما ارتاحت لأن جيمس قصر تحياته على غمغمة حانية عادية وشبه قبلة على وجنتها.

قالت أمها: «لقد انتظرناك على أحر من الجمر، أو بالأحرى أنا التي كنت أتحرق، فأنت تعرفين لهفتي إلى فتح الهدايا، لا سيما أنني سألزم المطبخ حتى موعد الغداء.»

«أنا عازمة على مساعدتك، يا أمي.» وعت بأن جيمس كان يراقبها بإمعان فاردفت والدم يتصاعد إلى محيّاها: «هذه هي هداياي لكم.»

«هذه هدية رائعة، يا حبيبتي!» هتفت نانسي وهي تتأمل القميص الحريرية الزهرية، وأردفت شارحة لجيمس: «إن عمل جين في حقل الأزياء يتيح لي الحصول على هدايا نفيسة كهذه. آه، وهذا العطر الرائع منك... إنكما تفرطان في تدليلي ولكني سعيدة بذلك.»

قال آلان وهو يعرض الكتاب القيّم الذي تلقاه من جيمس:

www.liilas.com

«شكراً، يا بني. كنت أتشوق لقراءة هذه السيرة الذاتية الشيقة.»

أما جيمس الذي أعجب بهدية جين وكانت أشرطة تسجيل لموسيقى روسية كورالية، وفراشي شعر، فقد قال: «شكراً يا حبيبتي، أنا لم أر من قبل فراشي كهذه... يبدو أنهما مصنوعتان من عرق اللؤلؤ.»

«أجل، لقد عثرنا عليهما في إحدى حجرات خزن الملابس... ويبدو أنهما كانتا محفوظتين في خزانة قديمة منذ الثلاثينات.»

هتفت أمها: «هيا، يا جين! افتحي هدية جيمس فقد استبد بي الفضول!»

«حسناً.» رفعت الرزمة المسطحة الكبيرة وكانت هدية أصغر ملحقة بها تتدلى بواسطة شرائط، وعلّقت مبتسمة لزوجها: «أشعر بأنها لوحة.» ولما فتحتها أردفت هاتفة: «أجل، هي كذلك! ألف شكر، يا جيمس! أنظروا جمال هذا البيت المحاط بالأشجار، ولكن من الذي رسمها؟ أقرأ هنا توقيع أيب...»

«إنه أيب فيشر، حسبما قال الرجل الذي باعني اللوحة. وقد كان أيب تلميذ تلميذ بالمر. هذا إذا استطعنا أن نصدق...» ثم ابتسم ساخراً وهزّ كتفيه، فأكدّ بذلك ميله إلى عدم التصديق.

هتفت: «لا تسخر منه!» ولكنها سرعان ما كبحت غضبها، وقالت عائدة إلى موضوع اللوحة: «تعجبني هذه الخراف التي ترعى على جانب الحقل. يجب أن أطّلع على أعمال بالمر فمعلوماتي الفنية محدودة.» ثم حدّقت في عنوان

اللوحة الباهت وقرأت: «دلر بارفلور... اسم غير عادي ولكنه لطيف.»

قال جيمس موضحاً: «يبدو أن أيب فيشر هذا كان يحب مقاطعة النورماندي، فأقام فيها طويلاً، ولكنه عاد إلى انكلترا في أواخر حياته، حيث ابتاع هذا البيت وأطلق عليه اسماً فرنسياً.»

تفحص والدها اللوحة وقال: «أين تراه يقع؟ هل تعرف يا جيمس؟»

«لا يبعد كثيراً عن هنا، إنه في ضواحي آمبرلي.»

علّقت أمها: «هذا أمر مثير للاهتمام... جين، أرجوك أن تفتحي هدية جيمس الأخرى، أريد أن أعرف ما بداخلها ومن ثم أعود إلى المطبخ مرتاحة البال.»

«الهدية الأخرى...» تضرج محياها وشعرت بنظرات زوجها تتركز عليها وهي تنزع الورق الذهبي عن العلبة الصغيرة، ثم هتفت: «قرطان من الفضة! انظروا ما أجملها!» ارتجف صوتها ولم تجرؤ على النظر إلى جيمس خشية أن تنفجر بالبكاء.

قالت امها بإعجاب: «إنهما رائعان حقاً! قفصان صغيران من الفضّة سيكملان روعة فستانك، هيّا، ضعيهما.»

إرتعشت أصابعها وخشيت أن تسقطهما، ولكن حين ثبتتهما وحرّكت رأسها، أعجب الجميع بتمايلها، إذ كان القصد من تصميم العصفورين السجينين هو إعطاء ذلك الانطباع.

علّقت نانسي متنهدة: «يا للروعة! أراهن بأنك ابتعتهما من البرازيل، يا جيمس.»

www.liilas.com

«صحيح. وبطلب خاص.»

«تجعلني أشعر بالحسد. كنت أتشوق كثيراً...»

«إذا ذهبتُ ثانية، أعدك بأن تكوني أول المدعوين لزيارة البرازيل.»

«أتظن أن هناك احتمالاً لعودتك؟»

«ربما، ولكن ليس في المستقبل القريب.»

أعاد هذا المنحى الجديد في الحديث جين إلى الواقع، ووجدت الفرصة سانحة لتطرح السؤال الذي قضّ مضجعها أياماً طويلة. فقالت: «أمي، ليكن في علمك بأن تلك المناصب لا تُقلّد إلا للرجال المتزوجين ومنصب البرازيل كانت له ظروفه الخاصة... أليس كذلك، يا حبيبي؟»

فوجىء جيمس، ربما بكلمة التحبب أو لأنه لم يفهم مغزى سؤالها. وفي أي حال، لم يكن بمستطاعه أن يتخيّل اللهفة الوجلة التي اعترتها وهي تنتظر سماع جوابه. هل سيزيح الثقل الرهيب الجاثم على كتفيها؟ هل سيمحو الظنون التي زرعتها فيها ميراندا دونما قصد، تلك الظنون التي أملت بحرارة أن يُثبت بطلانها؟ فإن كانت ليلة أمس قد دلّت على شيء فلقد دلّت على مدى حاجتها وعلى مدى رغبتها في المصالحة.

كان بريق عينيها الأخضر يشوبه التوسل، فهي على استعداد لتقبّل كل شيء حتى لو أعطاها جواباً مراوغاً. وتتمنى فقط لو تستطيع قضاء يوم العيد هذا في استباق ما سوف يحصل ليلاً عندما يغلقان باب مخدعهما...

هذه المرة ستكون مستعدة، كان قلبها يدوي بين ضلوعها ففتحت شفتيها استعداداً للابتسام...

لكنه أجابها وعيناه ما تزالان في حيرة من سؤالها: «أكيد أن تلك الوظيفة كانت تشترط رجلاً متزوجاً وإلاّ لما كنت في وضع يمكنني من التوسل إليك بأن تسافري معي.» ثم أشاح عنها بسرعة وكأنه يردف. «ولم يُجدني ذلك التوسل نفعاً...» وراح يربت على رأس الكلب المطالب باهتمامه.

حملقت ببرود إلى وجهه المشيح عنها، وقالت تحدث نفسها، وإلاّ لما خطر لك مطلقاً بأن تتزوجني، ولكنا مضينا في حبنا وأقمنا العلاقة التي اقترحتها عليك واستغنينا عن هذا العذاب.

لولا وجود أبويها في الغرفة لكانت قذفته بهذه الاتهامات بغضب وصراخ بدل أن تكتمها في نفسها وتدعها تشعر بحمّى لاهبة.

www.liilas.com

ريما www.liilas.com

الفصل التاسع

برغم أن طقس كانون الثاني/يناير كان معتدلاً ومشرقاً، على غير عادة، إلا أن جين شعرت بأن الشتاء لن ينتهي. شأنه شأن العذاب الذي عانته في موسم الميلاد. أولاً، ما حصل بينها وبين جيمس عشية الميلاد، وثانياً سفره المفاجيء في اليوم التالي، والذي كان من المحتمل أن تتقبله بارتياح في تلك الظروف، ولكنه أسفر عن معاناة إضافية. فقد أملت، على الرغم من ظنونها، أن تتوفر لها فرصة للمصالحة في أيام العطلة، ولكن المخابرة الهاتفية التي تلقّاها ظهر يوم العيد وضعت حداً لأملها ذاك.

بعد إنتهاء المخابرة، عاد جيمس إلى غرفة الطعام حيث كانوا يشربون القهوة، وقال: «أعتذر منكم جميعاً فأنا مضطر للرحيل.»

هتفت نانسي بخيبة: «ترحل؟ وكيف يعقل ذلك؟ أوه، لا، يا جيمس!»

«بلى، يا نانسي.» ثم حوّل بصره إلى زوجته التي كانت ترمقه بذهول وأسى عميق: «أنا آسف جداً.»

قالت محتجة: «ولكن اليوم عيد الميلاد! فماذا تريد الشركة منك في هذا اليوم بالذات؟»

هز كتفيه وقال عابساً: «يبدو أن آبار النفط لا تقيم وزناً للعيد. فهناك حالة طارئة في احدى منشآتنا في المكسيك

ويريدونني أن اختبر بعض الأجهزة الجديدة. سوف ابتاعها وأغادر مساءً من مطار هيثرو.»

أخذت نانسي يد ابنتها مؤاسية وقالت: «خسارة أن تسافر بهذه السرعة وانتما ما كدتما تلتقيان بعد فراق طويل.»

علق آلان: «أجل، حظ سيىء جداً، يا جيمس. ولكنهم أعطوك على الأقل، وقتاً كافياً لتناول وجبة الغداء.»

«ألذُّ وجبة أكلتها في حياتي.» ولكن محاولته التكلم بخفة لم تمحُ وجوم الآخرين، ثم نظر إلى ساعته وأردف: «ستصل السيارة بعد ثلث ساعة، ولذلك... سأترك لك سيارة الجاغوار يا جين، فهل بوسعك أن تعودي بها إلى لندن؟»

«أظن بأنني سأتمكن من تدبير الأمر.» لم تشعر بأقل رغبة في مسامحته، فالتعقيدات تتكاثر وقدرتها على التنازل محدودة...

قال له والدها: «بوسعك أن تأتمن جين على سيارتك يا جيمس. فهي أخبرتك حتماً بأنها كانت شغوفة بسباق السيارات في فترة ماضية.» كان الرجل يحاول جهده أن يخفق التوتر الذي استشعر وجوده بين ابنته وزوجها. وأردف: «جين هي واحدة من نساء قليلات، أئتمنهن على قيادة سيارتي.»

علّقت نانسي مصطنعة الغضب: «هكذا إذن؟ الآن عرفت أنك لا تثق بقيادتي، شكراً لك في أي حال.»

«مجرد مزحة، يا حبيبتي، مجرد مزحة، ثم إني قلت واحدة من قليلات، وكان يجب أن أقول واحدة من اثنتين... إنما لا تسأليني اسم المرأة الأخرى كيلا

www.liilas.com

تصابي بالغرور. والآن يا جيمس، هل ثمة شيء نستطيع فعله؟»

«لا أظن. عليّ فقط أن أوضب بعضاً من أغراضي. جين، أرجو أن تأخذي معك سائر الملابس.»

قالت لها نانسي: «إصعدي، يا ابنتي وساعدي زوجك في التوضيب، ونحن سنرتب الأمور هنا.»

سألت جين نفسها وهي تتقدم زوجها على الدرج... لماذا لم تشعر أمي التي ولدتني بأني لا أرغب الآن، بتاتاً، في الانفراد بزوجي؟ ولما دخلا غرفة النوم، لاحقته ببصرها وهو يجمع أدوات الحلاقة من الحمّام، ويتحرك بعزم في أرجاء الحجرة. ثم أقفل سحّاب الحقيبة ووقف يرنو إليها وكانت تجلس على حافة السرير. ثم قال متنهداً:

«أظن أني أخذت ما يلزمني. هل تقدرين أن تتولي جمع سائر الأغراض؟»

«هل لديّ خيار آخر؟ ولكن هناك شيئاً لا أفهمه... حسبت أن عقدك مع الشركة قد انتهى.»

«حقاً؟» وأطلق ضحكة قصيرة ساخرة وأردف: «أهذا ما ظننته؟ الأمر ليس بهذه البساطة...»

«لم أكن لأعلم بأنك من النوع الذي يصبر طويلاً على الأذى.» ولكنها أدركت فوراً خطأها في اختيار الكلمات التي قد يخطىء فهمها...

«ولا أنا.» كان صوته قاسياً وأكدت نظراته بأنه ربط كلماتها بوضعهما الشخصي، وبأنه يلومها على ما حصل. وقال: «في أي حال، أنا لا أقل عنكم تكدراً من هذا السفر المفاجىء... ولا سيما أننا في أمس الحاجة

لنتكلم، يا جين. إذ... لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو.»

«وهذا رأيي أيضاً.» بذلت جهداً كبيراً للاحتفاظ برباطة جأشها، فلو استرخت لحظة واحدة لانهمرت دموعها كالمطر لتغمرهما معاً. عضت شفتها السفلى وتابعت: «منذ أن عدت من البرازيل وأنا أنتظر، وأتحين الفرص للتكلم معك، لكن...»

«أعرف، أعرف، ولكن الأمور كانت تتوالى بشكل محموم... إلا أنها بدأت تميل نحو الاستقرار، وقريباً...»

«قريباً... سيكون الوقت قد فات.»

قال بلطف: «لا موجب لأن يفوت، إذا كان كلانا راغبين... جين، ماذا ستفعلين؟ هل تمكثي مع والديك ريثما أعود؟ لا أريدك أن تبقي بمفردك في تلك الشقة في...»

قاطعته: «لم أقرر بعد. وقد أقرر العودة غداً بالسيارة تفادياً لزحمة السير لدى انتهاء العطلة.»

«لقد وصلت سيارتي.» ارتدى سترته الداكنة. فتطلعت جين إليه وأحست بقلبها يهوي. فغداً في مثل هذا الوقت سيكون في مقلب العالم الآخر، وهي لا تعرف متى ستراه ثانية... «من الخير أن أمضي. يفترض أن أرجع بعد أسبوع أو عشرة أيام.»

«أسبوع؟» لن تكون لديها القدرة على تحمل هذا القلق سبعة أيام أخرى.

أجابها بمرح: «أنا ذاهب إلى المكسيك، لا إلى برايتون! ثم إني سأحاول هناك حل مشكلة معيّنة. قد تكون صعبة وتتطلب بالتالي وقتاً.» وهنا سمع دقّاً قوياً على باب البيت

www.liilas.com

ثم خطوات على السلّم فقال بسرعة إنما بلطف: «جين، بالنسبة إلى الليلة الماضية...»

حدجته بنظرة نارية وقالت بصوت كالفحيح: «انس أمرها، فقد كانت غلطة، هل تفهم! مجرد غلطة!» غاض الدم من وجهه ورأن صمت رهيب.

نقرت أمها على الباب ونادت: «جيمس، سائقك وصل.»

«حسناً، يا نانسي، أنا آت.» وعاد الصمت يلفهما، واستمرا محملقين في بعضهما بعضاً فيما صارعت جين توقها إلى لمسة كي تبادره... بماذا؟ بالحنان، بالمصالحة أم ربما بالاعتذار عن نبرتها القاسية، ولكن لا جدوى من ذلك في أي حال، فالفرصة ضاعت.

كان يقول: «لقد سمعت قولك يا جين ولكن...» تنهد وانحنى ليرفع حقيبته. «لا تطلبي مني أن أنسى، لا أستطيع.» ثم لثم وجنتها وعاودتها الرغبة في معانقته والالتصاق به وعدم السماح له بالسفر. ولكنه مضى قبل أن تجد الفرصة لتتخلى قليلاً عن الانضباط الصارم الذي لازمها فترة طويلة وقبل أن تقرر السماح لقلبها بأن يحكم عقلها. أما الآن فما عادت بحاجة إلى كتم مشاعرها وبوسعها أن تنفس عن ألم الأشهر القليلة الماضية وشقائها بذرف الدمع الغزير.

تحاملت في وقت لاحق من ذلك المساء على تعاطف أبويها إذ قالت أمها وهي تربت على كتفها مؤاسية: «هذا مؤسف جداً، يا حبيبتي. يتراءى لي أحياناً أن هذه الوظائف العالية ذات متطلبات كثيرة.»

«صحيح.» وأخرج والدها غليونه، متناسياً أوامر

زوجته وتابع بعدما نفث الدخان بسرور: «ولكنها من ناحية أخرى تبرز قدرات المرء. فلقد أخبرني ذلك السائق الشاب بأن جيمس هو الرجل الوحيد في الشركة الذي يستطيع حل هذه المشكلة بالذات.»

هنا استأنفت جين وولجت المطبخ حيث رأت على الطاولة ما تبقّى من الإوزة المحشوة والملفوف الأحمر والجزر الأبيض. شرعت تُعيد الأواني الفخارية إلى الخزانة وقالت في نفسها وهي تسترجع حديث والديها، وماذا يعرف ذلك السائق العادي عن أعمال شركة كبرى متعددة الجنسية؟

لم تر زوجها منذ ذلك الحين. مع أن غيابه الطويل أشعرها بالمهانة، إلا أنها لم تحتمله كل اللوم، فأثناء وجودها في باريس عاد هو إلى لندن وترك لها الرسالة التالية:

«ماذا يجري، يا جين؟ اعتقدت أننا اتفقنا على الكلام! أرجو أن تحددي لي موعداً قريباً. أتوقع أن أكون في شتلاند في اليومين المقبلين. بوسعك الاتصال بي بواسطة الرقم المدوّن أدناه.»

كانت الرسالة ـ الملاحظة موقعة بالحرف الأول من اسمه، واستفزتها عباراتها الجافة المقتضبة فكتبت جواباً مماثلاً، قالت فيه إنها ستكون في البيت من ذلك اليوم فصاعداً، مثلما فعلت معظم الأشهر الثلاثة الماضية

www.liilas.com

وستكون مستعدة للتفاهم معه، إذا كان متلهفاً للكلام إلى هذه الدرجة، الخ... وقد ألصقت الورقة بمكان بارز في المطبخ ولكن يبدو أنه لم يرجع إلى الشقة، فلم ير الرسالة.

في تلك الاثناء، أنجزت جين عدد المجلة الخاص بشهر كانون الثاني/يناير والذي تطلّب منها جهوداً محمومة، متواصلة لم تذكر لها مثيلاً في السنوات السابقة، ولم يبق عندها الآن، إلا تجهيز المقال الرئيسي المصوّر، حول مجموعة الأزياء الصينية التي اطلعت عليها في باريس.

في نهاية يوم كان مشحوناً بالعمل المرهق، رفعت بصرها عن الأوراق وسألت لوتي: «لا أظنك تحملين بعض حبوب الاسبرين؟»

«أسبرين؟ لماذا؟ ألديك صداع؟»

«لا بأس.» كانت قد بحثت لحظةً في الدرج وأخرجت زجاجة صغيرة، وأردفت: «لقد وجدت حبوبي. أجل لديّ صداع رهيب انتابني عند الظهر... سآتي بكوب ماء. أمل أن تكون هذه الحبوب لا تزال ذات فعالية فهي في الدرج منذ أمد طويل...»

«مهلاً، يا جين، ألا تظنين أنه لا يجدر بك...»

صمتت لوتي، فاستوضحتها الأخرى باستغراب: «لا يجدر بي ماذا؟»

«أقصد...» كان ارتباكها وتلعثمها جديدين بالنسبة إلى جين. «... كل ما يقال حول العقاقير هذه الأيام... وما تحدثه من تأثيرات جانبية... كما لاحظت... بأنك عزفت عن تناول قهوتك هذا الصباح.»

«الحق معك يا لوتي. أذكر الآن بأني لم أشربها. لقد

تركتها تبرد، وأشعرني مرأى الرغوة بالغثيان. هل كان مذاقها غريباً عندما شربتها أنت؟»

«كلا، ولكني سأشير عليك بشيء.» ثم نهضت بسرعة من وراء مكتبها وتابعت: «كنت أتحدث مع غريس عند الغداء وذكرت لي في معرض الحديث بأنها تداوي الصداع بشراب البابونج الساخن. سأمضي إليها وأطلب قليلاً منه كي تجربيه.»

أكبّت جين على حساباتها ثم تقبلت بشرود فنجان الشراب الأصفر حينما وضعته لوتي أمامها. رشفت منه قليلاً وما لبثت أن لوت تقاسيم وجهها وعلّقت: «نكهته تؤكد إفادته!»

«إنه لذيذ، أليس كذلك؟»

«بل أجده كريه المذاق. لكني سأعطيه فرصة ليؤدي دوره. والآن لنعد إلى العمل. إني أحضّر رسالة جوابية لمطرزات شيكو في هونغ كونغ، وأظن أنه يترتب علينا أعطاؤها مهلة قصيرة أخرى، فما رأيك؟»

انتهتا من العمل في وقت متأخر وفيما كانتا تهبطان الطابق الأرضي لاحظت جين أن زميلتها كانت تسترق إليها نظرات تساؤلية فابتسمت لها وقالت: «هيّا، يا لوتي، أخرجي ما لديك من كلام تتلهفين إلى نطقه.»

«أنا؟» تظاهرت بالتعجب ولكنها أخفقت: «كنت أتساءل فقط عمّ إذا كان صداعك تحسن.»

«إلى حدّ معقول. لنقل إن البابونج الكريه يشفي سبع حالات صداع من كل عشر.»

«نسبة لا بأس بها. أعتقد أن المداواة العشبية أفضل كثيراً للصحة، ألا توافقينني رأيي؟»

www.liilas.com

«لم يسبق أن فكرت كثيراً في هذا الموضوع فأنا قلّما أمرض ولا أتناول بالتالي الكثير من العقاقير والحبوب. لم أكن أدري بأنك تهتمين بالطب البديل.»

سألت لوتي وهي تخرج كلياً عن الموضوع: «ما أخبار جيمس؟ أتظنين أنه سيعود قريباً؟»

وصلتا إلى الرصيف وتوقفتا، ريثما تفتح لوتي مظلتها، اتقاءً من المطر الخفيف. ولمّا عبرتا الشارع أجابتها جين: «لا أدري متى سيعود بالضبط ولكنه قد يصل في أي وقت.»

«إذن، لم تريه منذ شهر تقريباً.» للمرة الثانية شعرت جين بأن زميلتها ترغب في قول شيء معين إلا أنها تابعت فوراً: «حسناً، حينما يعود أخبريه عني، أن يسهر على راحتك. طاب مساؤك.» ثم حثت الخطى في اتجاه موقف الحافلات.

ابتسمت جين لنفسها وهي تسير بخطوات حثيثة إلى المحطة. يا لحنان لوتي الأمومي، فهي ما انفكت ترعاها منذ أن بدأت العمل كمساعدة لها، وليس في محيط العمل فحسب بل امتدت رعايتها إلى حياة جين الخاصة وهي ستصعق حتماً لو درت بالوضع الحقيقي لزواجها.

اضطرت للوقوف داخل القطار، وحافظت على توازنها بالاتكاء إلى أحد الأعمدة، متابطة الجريدة المفتوحة على صفحة التسلية، الحاوية على رقعة الكلمات المتقاطعة، التي لم تتمكن من حل كلمة واحدة بسبب تزاحم الأفكار في ذهنها. أسندت خدّها بتعب إلى العمود المعدنيّ البارد. لقد تحسن صداعها، ولكنها شعرت بغثيان عندما انعطف القطار بسرعة. وفيما كانت تحاول ابعاد هذا الأمر عن

ذهنها، طرأت عليها خاطرة مستهجنة ومجنونة لا يستوعبها العقل جعلتها تبتسم بتسلٍ.

توقف القطار عند محطتها ولمّا ترجلت منه وسلكت الطريق إلى شقتها اتجه ذهنها إلى اجراء حسابات متنوعة، فالآن داخلها الشك وصعب عليها أن تتخلص منه. ومن دون أن تشعر، توقفت أمام واجهة محلّ مضاء حيث ترددت قليلاً ثم سارت إلى الداخل وابتاعت شيئاً معيناً.

إنها حامل! ولم تصدق بالطبع، على الرغم من إيجابية الفحص. فلقد سمعت بأن هذا الفحص البيتي يخطىء بنسبة عشرة بالمئة، ولذا ستنتظر بضعة أيام أخرى وتجري فحصاً آخر، لمجرّد أن تُطمئن بالها، فهي واثقة من عدم وجود حمل. كلا... فعيناها المرهقتان المنعكستان في المرآة كانتا خائفتين وغير مقتنعتين، وما هي إلاّ لحظة حتى اجتاحتها موجة غثيان عاتية جعلتها تعدو إلى غرفة الحمّام.

تحسنت كثيراً مع حلول يوم الأحد. فقررت أن تنفي خوف الحمل عن ذهنها. تناولت خبزاً محمصاً وقهوة وهي في فراشها من دون أن تشعر بأي غثيان، الأمر الذي أعاد إليها الثقة وجعلها تعزو اعتلالها السابق إلى القلق. ومتى استقرت الأمور... غادرت الفراش وقررت أن تتمشى إلى المتنزّه القريب ثم تعود إلى البيت بعد أن تبتاع عدداً من المجلات وتمضي النهار في استرخاء كسول. وفي طريق العودة عرّجت على صيدلية وابتاعت محلول فحص الحمل ثانية، وحصلت على النتيجة ذاتها.

لم تصدّق سهولة حصول الحمل من جراء تلك الحادثة

www.liilas.com

الوحيدة عشية الميلاد. أو أن يحصل لها بالذات، فهي قبل أن تتزوج بسنوات كانت صممت على تنظيم الإنجاب واختيار الوقت الذي تراه مناسباً لكل حمل بحيث توقف نشاطاتها الخارجية لتنصرف إلى طفلها... كانت دائماً إنسانة منظمة وتفخر بذلك، أما الآن فكل شيء طار بعيداً، شعرت بالهوان والرثاء لذاتها فانهمرت الدموع على وجنتيها، والشيء الوحيد الذي طرأ على ذهنها كوسيلة للسلوى، كان فكرة التهام قطعة كبيرة من جبنة الكريما، متوجة بمخلّل الخيار، إضافة إلى فنجان كبير من شراب الكاكاو المزبد.

عندما أيقظها جرس المنبّه صبيحة يوم الاثنين تأوهت تعباً، واستوت جالسة بصعوبة، وأحست بعزوف تام عن مزاولة العمل ذلك اليوم. ليس لأن أفكارها المتلاطمة أرّقتها معظم الليل، أو لأنها عانت سوء هضم موجع، بل لأنها شعرت ولأول مرة، بفتور همتها وعدم اكتراث تجاه عالم الأزياء وبيع الأزياء. وإذا كان الحمل يؤثر على النساء على هذا النحو فان كل مخاوفها الغريزية كانت في محلّها! تنهدت بأسى وأغمضت عينيها لترتاح بضع لحظات، لمّا استيقظت أدركت بأنها نامت أكثر من اللازم. كان عليها أن تختار بين الاستحمام و تناول الفطور ولكنها اختارت الأول لشعورها بالغثيان. وعلى الرغم من الماكياج السريع، ظلّ الارهاق واضحاً تحت عينيها الذابلتين واللتين تتألقان عادة بالحيوية. غمغمت وهي تتناول حقيبتها اليدوية، عليهم أن يتقبلوني على علاّتي وإن كان لديهم ثمة اعتراض...

ما إن فتحت باب غرفتها حتى هاجمتها رائحة قهوة

تُغلى وخبز يُحمّص ولحم يُشوى، ثم خرج جيمس من المطبخ ووقف يرنو إليها. شعرت بقلبها يقفز فرحاً وفي الوقت نفسه أحست بفزع.

«مرحباً.» تقدّم خطوة وتمعن في قسماتها: «وصلتُ منذ ساعة.» ثم ابتسم بحذر وأردف: «خطر لي... أن نبدأ يومنا بتناول الإفطار معاً.»

«أوه!» ودت لحظتها أن تنفجر باكية، أو ترمي بنفسها بين ذراعيه أو أي شيء آخر لا يليق بها أن تفعله.

«أوه، نعم.» التقط من على المنضدة الرسالة التي تركتها له في المطبخ وقال: «لقد قرأتها.»

«آه!» تذكرت كم كانت عباراتها حادّة ومُرّة وأحست برداً يسري في أوصالها.

«الآن، ماذا ستختارين؟ تناول الإفطار أم المبارزة؟» كان يعمل على إغوائها مثلما فعل ذلك الصباح الأول في فندق أوشن باي... ولكن، ليتها تتمكن الآن من التجاوب معه بيسر وانطلاق...

تعرّق كفّاها وشعرت بدوار. حاولت أن تثبت بصرها على وجهه إلا أنه تمايل أمام عينيها فتمسكت بحافة المنضدة.

استطرد محاولاً اقناعها: «شويت اللحم على الطريقة التي تحبينها، والآن هل أقلي لك بيضتين؟» اتجه صوب المطبخ فأحست بهول كلامه يضعفها ويرنحها. يجدر به أن يعلم بأن فكرة تناول اللحم تقزز نفسها وأن رائحته كافية لإصابتها بالغثيان، و... أسقطت جزدانها على الأرض وكمّت فمها براحتها ثم طارت عبر غرفتها إلى الحمام حيث

www.liilas.com

حاولت أن تغلق عليها الباب قبل أن تنكفىء على الحوض وتتقيأ.

لم تدر عندئذ هل لحق بها جيمس أم لا، ولم تأبه لذلك، ولكن عندما رفعت رأسها وسحبت منديلاً لتمسح به وجهها رأته عبر المرآة خلفها. ثم اقترب منها وعيناه مفعمتان بالقلق ولفّ ذراعيه حولها وأخذ يربت على ظهرها مؤاسياً. استطابت قربه منها ولكنه ما لبث أن تراجع وقال متفحصاً وجهها: «ما بك يا جين؟ هل كنت مريضة؟»

هزت رأسها نفياً. وتمنت لو يدوم هذا الاحساس الرائع، إحساسها بالاستناد إليه وإلى قوته ولكنها لا تستطيع. كذلك ستتأخر كثيراً عن العمل ولديها موعد هام في العاشرة... وحاولت أن تبتسم: «تعلم أني لا أمرض أبداً.» وابتعدت عنه بحزم وتناولت فرشاة أسنانها.

«تبدين مثوعكة. وقد لاحظت ذلك أول ما رأيتك.»

أغضبتها ملاحظته فغسلت فمها بتوتر وقالت: «أعتقد أن سبب ذلك، هو القلق الذي عانيته في الأشهر الماضية.» كان مفترضاً أن يشفي هذا الاتهام غليلها ولكن الدموع لسعت عينيها وأردفت وهي على وشك الخروج: «سوف أتأخر.» ولكنه أمسك ذراعها وأدارها صوبه. «لم يكن هذا ما رميت إليه. أنا...» بيد أن تلك الحركة العنيفة كانت القشة الأخيرة بالنسبة إليها، إذ أخذت الأرض تميد تحت قدميها وشعرت بنفسها تسقط في هوّة عميقة.

لمّا صحت من غيبوبتها القصيرة كانت مستلقية على الفراش، واختلط الهدير في أذنيها بصوت زوجها المذعور وكان يتجادل على الهاتف مع سكرتيرة الطبيب: «حسناً،

حالما تتمكنين اتصلي بالدكتور فيرفاكس واطلبي إليه أن يخابرني فوراً، فزوجتي مريضة و... أجل، أفهم ذلك تماماً ولك... إذا لم يتصل بي خلال دقائق سوف أضطر... نعم، شقة رقم ٢٤... إنه يعرف العنوان. شكراً.»

ابتسمت جين بتعب وأولت وجهها الوسادة وقد استبد بها توق إلى نوم طويل وعميق ولكن ما أن سمعت خطواته حتى استوت جالسة وقالت: «جيمس، لا موجب لأن...»

هتف بصوت يائس ألمها حتى الصميم: «جين! جين!» ألصق يدها بخدّه ثم لثم كفّها: «لقد انحشر رودي فيرفاكس في زحمة السير ولكنه سيأتي رأساً إلى هنا. كيف تشعرين الآن؟»

أجابته وقد بدأ الثقل ينزاح عن صدرها: «أشعر ببعض التعب ولكنني بألف خير.»

«حقاً؟» بدا مرتاباً، وأخذ يتفحص تقاسيمها وكأنه مصمم على النفاذ إلى تجاويف ذهنها.

«أجل. يجب أن أنهض وأذهب إلى المكتب حتى لو تأخرت ساعات في الوصول.» شرعت تزيح الغطاء فأوقفها. «لن تتحركي حتى يراك الطبيب، سوف أتصل بلوتي وأعلمهم بأنك ستتغيبين...»

«ولكني مضطرة للذهاب...»

قال بصبر ولطف وهو يغطيها من جديد: «متى كانت آخر مرة تغيبت فيها بداعي المرض؟»

«أوه، في الشتاء ما قبل الماضي، حين أصبت بالانفلونزا وتغيبت يومين...» رحّبت بفكرة البقاء يوماً في الفراش ما دامت غير مسؤولة عن هذا القرار...

www.liilas.com

عاد جيمس بعد دقائق وقال: «لقد سُوّي الأمر. وفي الحقيقة، بدا لي أن لوتي لم تفاجأ باعتلالك. وزودتني بقائمة تعليمات... سأمهل رودي بضع دقائق أخرى...» ونظر بقلق إلى ساعته.

قالت جين بضيق واضح: «جيمس، هلاّ أصغيت إليّ؟ لا موجب لأن تقلق إلى هذا الحد، فليس هناك ما يستطيع رودي أن يفعله...»

«جين؟» هتف بصوت معذّب فأدركت بسرعة الانطباع المخيف الذي زوّدته به.

هبّت جالسة، متجاهلة الدوار العابر الذي اعتراها وقالت شارحة: «صدّق بأني لا أعاني مرضاً خطيراً. كل ما في الأمر... سوف أنجب طفلاً.»

«طفلاً؟»

حسبت للوهلة الأولى أنه لم يفهم، ثم أمحى العذاب من عينيه وحلت مكانه عاطفة لم تتمكن من تحديدها. «يا إلهي!» تهالك على الكرسي المجاور للسرير، ومرّر أصابعه في شعره. «جين! أنا آسف جداً... آسف إلى أقصى الحدود.»

عجزت لحظتها عن حبس دموعها.

ريما www.liilas.com

الفصل العاشر

أسعدها الاستلقاء على فراشها الدافىء. وكانت تسمع بين الفينة والفينة هدير سيّارة، وهبوب الريح بين الأبنية العالية ورذاذ المطر المتساقط على زجاج النافذة. وقد أسعدها أكثر من أي شيء آخر اطمئنانها إلى وجود جيمس الذي كان يتنقل بهدوء في أرجاء الشقة. شعرت الآن، وبعدما حملت بمفردها حملاً ثقيلاً ولوقت طويل، بأنها استطاعت أن تسلّمه لشخص أكثر قدرة منها على تحمله، وقادر في الوقت نفسه على حمايتها والعناية بها.

لقد عادها الطبيب فير فاكس وأكّد وجود الحمل، وطمأنها بأسلوبه الواقعي بأنها على أفضل ما يرام. ثم طلب منها أن تقصد عيادته في أقرب وقت ممكن. وخرج من الغرفة مسرعاً. سمعت بعد ذلك حواراً طويلاً عند باب البيت ترددت خلاله مصطلحات رياضية، ولمّا عاد جيمس إلى الحجرة قال وهو يهز كتفيه ويبتسم معتذراً: «ما يزال رودي مهووساً بلعبة الرغبي، منذ كنا طالبين في المدرسة. وقد لعب بالطبع مع الفريق البريطاني. كان كلّما وضعت زوجته طفلاً يعتبر الأمر تحصيل حاصل، ولذلك يجد موضوع الرغبي أكثر إثارة من موضوع الأطفال! في أي حال...» جلس بقربها على السرير وأزاح شعرها عن جبينها وقد بان القلق على محيّاه، ثم تنهد كما لو أنه كان يتشبث بخيط أمل واهٍ. «في أي حال، لقد وقع المحظور وحملت.»

خنقها التأثر وأومأت برأسها.

«لا تقلقي، يا جين، سنجد الحلول المناسبة... وسترين. الآن، أعتقد أنك جائعة، ألست كذلك؟» أومأت ثانية وابتسمت ابتسامة دامعة. «إذن سأحضر لك طعاماً يناسبك. فلقد لاحظت عزوفك عن تناول البيض واللحم، فهل كُنت مُصيباً؟»

«أجل.»

«إذن، ما رأيك بخبز محمص وقهوة؟»

«لا أريد قهوة. بل شاياً مع شريحة خبز محمصة.» كان يرنو إليها بدفء ورقة فتورد وجهها وهي تردف: «سيكون ذلك رائعاً.»

بعد قليل جاءها بصينية أنيقة عليها خوان صغير من الكتان الأبيض، وفوطة، وعصير برتقال طازج وشرائح خبز محمصة بعناية، وقال: «هيّا، ساعينك على الجلوس.» وتسارعت أنفاسها حين أسند ظهرها بيده ثم لامس كتفها وقال من باب الممازحة: «آسف، الصينية تنقصها وردة نديّة كي تفتح شهيتك. والآن، بعدما تأكلين سوف تأخذين قسطاً من النوم، ولا أريدك أن تقلقي بتاتاً فسأبقى هنا طوال الوقت.»

أعاد الكرّة على موعد الغداء، وجاءها بحساء لذيذ، وبسكويت مالح ولبن وحبة دراقن.

هتفت مشيرة إلى الوجبة الفخمة: «كيف استطعت أن تحضر كل هذه الأصناف؟ إن غدائي يقتصر عادة على نصف هذه المواد الأساسية!»

«لا تسأليني كيف. ربما لأني انشغلت ساعات طويلة في المطبخ. كل ما أطلبه هو أن تأكلي.»

بعد خروجه ابتسمت لنفسها، إذ كانت واثقة من أنه احضر الطعام من محل الأطعمة الجاهزة الذي يوصل لهما الأغراض إلى البيت، ثم أدهشت نفسها بتناولها كل ما حوته الأطباق. بعد ذلك نامت طوال العصر ومن دون أن يخالجها أي شعور بالذنب من جرّاء تدليل ذاتي كهذا، بل أنها ارتاحت لانقطاعها بضع ساعات عن كل ما تتطلبه حياتها اليومية من حركة دؤوبة ونشاط.

لكن مع اقتراب الغروب شعرت بأنها أخذت كفايتها من الراحة والنوم فغادرت الفراش وولجت الحمّام، حيث ملأت الحوض وأضافت إلى الماء مقداراً وافراً من زيت الاستحمام ثم استلقت في الماء الدافىء ولم تفكر إلا تفكيراً عابراً في أمور العمل التي بدت لها عديمة الأهمية، الأمر الذي أثار استغرابها.

ارتدت بعد ذلك سروالاً مزهراً فضفاضاً وبلوزة قصيرة يتراوح لونها بين الأزرق والأخضر، ثم سرّحت شعرها وتزينت زينة خفيفة، ولما غادرت مخدعها أحست بقلبها يهتز بين ضلوعها. كان جيمس في غرفة الجلوس مثلما توقعت، ولكنه بدا على غير عادة يقرأ رواية. حدّقت إليه مستغربة، فهي منذ وقت طويل لم تر بين يديه سوى ملفات العمل. نهض حين سمعها تفتح الباب وتقدم صوبها ووقفا يرنوان إلى بعضهما بعضاً. ثم لمس مرفقها بحنان وقال: «حبيبتي، كيف تشعرين الآن؟»

«على خير ما يرام.» أجابته بصدق أدهشها. لقد عانت الأمرين في الأشهر الأخيرة. تفحصت وجهه بحثاً عن مفتاح لحقيقة مشاعره وأفكاره وبدلاً من ذلك وجدت نفسها

www.liilas.com

ماخوذة بجاذبيته الفائقة. أين كان عقلها عندما حاولت المضيّ في حياتها بعيداً عنه؟ أمّا في هذه اللحظة بالذات فشعرت بأنها تحلم وهو يعاملها برعاية متناهية فيجلسها برفق على جانب الأريكة ثم يقبع على كرسي منخفض أمامها ويرمقها باهتمام شديد و...

«هل أصدقتني الجواب؟» بدا صوته مرتاباً ومرت لحظة قبل أن تتذكر حديثهما الأنف.

«أجل، أصدقتك القول.» وضحكت باملاء من دون أن تبعد بصرها عن بصره، ومدركة بأنها لن تكلّ أبداً من النظر إليه. وأردفت: «صدقني يا جيمس، أنا بألف خير.» ثم تلألأت عيناها بالدموع وأردفت: «ثق بأن الأمر كان نتيجة إرهاق وأرق لا غير.»

لمس يدها وكأنه يعتذر: «متى... عرفت بأنك... حامل؟»

«منذ بضعة أيام فقط... لوتي هي التي...» وهنا قهقهت قليلاً وعجبت من مرحها المفاجيء. «هي التي لفتتني إلى واقع الحال.»

«تذكرتُ، فعندما خابرتها خيّل إلي أن طريقتها في الحديث أوحت بمعرفتها الأمر.»

«أعتقد أنها حين لاحظت نفوري من شرب قهوتي الصباحية على غير عادة، جمعت اثنين مع اثنين وخرجت بالجواب الصحيح قبل أي شخص آخر.»

«لوتي التي لا يمكن الاستغناء عنها! ولكن علينا الآن أن نناقش بعض الأمور. أريدك أن تخبريني كيف تشعرين بالضبط، فلا بد أن هذا الحمل كان بمثابة ضربة قوية لك، ولكل ما أملت به وخططت له. ولكن...» تنهد وأشاح عنها، ثم

سار إلى النافذة ووقف ينظر إلى الحدائق المعتمة قبل أن يعود ويسند مرفقه إلى رف الموقد، وأردف عابساً: «كيف سنحلّ هذه المشكلة؟»

قفز قلبها بين ضلوعها ثم ألقت بظهرها على الوسادة وقد شعرت فجأة بتعب شديد وسألته بخوف: «ماذا تقصد؟»

قال مبتسماً ليهدىء من روعها: «لا تنظري إليّ هكذا، يا جين، وخففي من توترك. كان يجب أن أسأل، ماذا تريدين أن تفعلي؟»

من حيث لا تدري تجاوبت غريزياً مع تهديد خفيّ ما. فوضعت يدها على بطنها وأحست حناناً بالغاً وغير متوقع تجاه الجنين الدقيق الذي سيتحول قريباً إلى انسان واضح الملامح والتكوين. هو طفلها وطفل جيمس. تناولت منديلها بسرعة وجففت دموعها وحمدت الله على أن جيمس كان مشيحاً عنها محدّقاً في نيران الموقد، ثم تمالكت أعصابها وقالت بنبرة حادة وفاترة: «إن الظروف تحتم عليّ أن أتغلب بنجاح على هذه المشكلة، أليس كذلك؟ صحيح أني لم أخطط لهذا الحمل كما قلت... ولكن بما أنه حصل فلا يمكن أن أفكر...»

«بماذا؟» تمعن فيها عابساً ومتسائلاً، وبعد صمت قصير متوتر، أطلق ضحكة مُرّة وقال: «بالاجهاض؟ يا إلهي! لم يخطر لي ذلك بتاتاً. هل تتصورين للحظة بأني سأدعك تُقدمين على مخاطرة كهذه؟ و...»

قاطعته بصوت متعب وقالت من دون تفكير: «لقد قيل لي بأن خطر الاجهاض خفّ كثيراً هذه الأيام، وهو، حتماً، أقل خطراً من الولادة...»

www.liilas.com

«آه، في هذه الحالة أعتبر نفسي مذنباً ومسؤولاً عن تعريضك للخطر.» حاولت أن تحتج ولكنه تجاهلها وتابع: «ولو كانت هناك وسيلة لمحو ما حصل...»

«أنا لا ألومك، بحق السماء!» هتفت بالكلمات بغضب وصدق، فهي ما انفكت، خلال الأشهر الماضية، تحمّله مغبة كل ما حصل، ولكنها شعرت الآن بتحررها من ذلك العبء الرهيب. ومضت تقول شارحة: «جيمس، كلانا كان مسؤولاً... فأنت لم ترغمني، وأنا أرفض استعمال كلمة لوم. لقد حملتُ من دون تخطيط وفي وقت ومكان غير مناسبين، ولكنه حقيقة واقعة و...» اضطربت لحظة إذ فكرت في تأثير ذلك على عملها الصحافي، ولكنها تابعت بعزم: «سأحاول أن أتغلب على الصعاب.» أثبتت بذلك تقبلها للتغيّر الذي سيطرأ على حياتهما، ولانتقالهما من بحبوحة مادية يوفّرها راتباهما الكبيران، إلى وضع مالي عسير بسبب توقف مدخولهما. اقشعرّت قليلاً عندما وعت هذه الحقائق المادية ولكنها طردتها من ذهنها.

قال جيمس بقلق: «أنا المسؤول كلياً عما وصلنا إليه.» وأخذ يمرر أصابعه في شعره فلاحظت جين بأنه أطول قليلاً من المعتاد وأدركت أن جيمس أهمل تهذيبه لكثرة مشاغله وهمومه في الآونة الأخيرة. ومضى يقول: «ما كان يجب أن أحملك على الزواج بتلك السرعة.» فانصبت كلماته عليها مثل ماء بارد، وحملقت به طويلاً عاجزة عن الرد إلا أنه تابع قائلاً: «الله وحده يعلم السبب الذي ثناني عن استغلال عرضك... ولو فعلت لكنت اليوم حرّة وغير مقيّدة إلى رجل متعصب.»

«ولكن...» أرادت أن تنكر وصفه لنفسه بالتعصب، وأن تقر باصرار بأنها كانت عنيدة وأنانية، ولكن ثمة أمراً يجب أن يُجلى قبل بحث أي شيء آخر. وتابعت بانفعال: «لو أنك فعلت، لما كنت استفدت من وظيفة البرازيل. أوّاه، يا جيمس، الكلمات تعجز عن وصف أسفي وندمي. فأنا كنت السبب...»

فرك جبينه وكأنه يحاول جلاء ذهنه، وقال: «اعذري بلادتي، يا جين. فأنا لم أفهم بالضبط... ما قلته حول وظيفة البرازيل...»

«سيراندا أخبرتني. وعندما سألتك، أكّدت لي بأن تلك الوظيفة كانت لرجل متزوج، و...»

«هذا صحيح، وليس سرّاً. ولكني لم أفهم شيئاً بعد...»

«حسناً...» وهزّت كتفيها كما لو أن إظهار اللامبالاة كفيل بتخفيف ألمها. «لو أنك صارحتني بسبب تحمسك للزواج لكنت شرحتُ لك مشاعري وبحثنا الأمر واتفقنا على قرار معين، ولكنت وفرت علينا كلينا كل ذلك القلق...»

«جين!» هز رأسه بتأنيب لطيف وتقدم منها باسم الثغر ثم تابع وهو يداعب خدّها بطريقة أرعشتها: «جين، من أين جئت بهذه الخواطر المجنونة؟ صحيح أن تلك الوظيفة كانت تناسب رجلاً متزوجاً إنما لم يكن هناك قانون يفرض حالة الزواج. ولكنكِ ذهبت إلى البرازيل حتى لو لم ألتق بك.» وضحك بصوت خافت.

«آه، فهمت...» ولكن صعب عليها أن تفهم، بعدما شرح لها الوضع، لماذا عميت عن شيء كان واضحاً مثل عين الشمس.

www.liilas.com

سألها جيمس: «هل اعتقدت فعلاً بأني تزوجتك كي أكون أهلاً لوظيفته أو أخرى؟»

«كلا. لم أعتقد ذلك.» وتعمدت الكذب هذه المرة.

«حسبتُ بأنك لم تشكي لحظة في السبب الذي دفعني للزواج منك.» تخضب محيّاها وانتابها ضيق شديد. «في أي حال، لندع هذا الموضوع جانباً ولنفكر في الأمور الأخرى التي يجب ألا نتسرع فيها بسبب أهميتها البالغة. أنا أعتقد...» صمت طويلاً فشعرت بأنه كان ينتظر منها أن تعلّق بشيء، ولمّا احتارت في إيجاد الكلمات المناسبة لتشرح له معاناتها في الأشهر الأخيرة، غيّر الموضوع فجأة وسألها: «لا بد أنك جائعة فما رأيك في عجة بيض وسلطة؟ ولدينا أيضاً خبز فرنسي وسلطة فاكهة؟»

«يبدو عشاءً ممتازاً.» ثم استقرت على جانب الأريكة وسألت: «أتريد بعض المساعدة في المطبخ؟»

«إياك وأن تتحركي من مقعدك...»

ضحكت ورفعت يديها باستسلام: «حسناً. لن أجادلك، ثم إنني معجبة كثيراً... بقدرتك على طهو أصناف عدّة!»

«أجل، لقد أنهكني الطهي، ولكني ما دمت مسيّراً لا مخيّراً فعليّ أن أعود إلى المطبخ.» ثم أردف وهو يتجه نحو الباب: «عندما تأكلين يجب أن ترجعي إلى الفراش وتستريحي، هذا ما أوصى به الطبيب.»

استرخت على الوسائد وسألت بتحد: «حقاً؟ حسبت أن رودي كان أكثر اهتماماً بمباراة الرغبي...»

ردّ ضاحكاً: «بالطبع. فلقد بيّنت لك بأنه مهووس بهذه اللعبة، ولكنه تذكر بأنك مريضته عندما ذكّرته بذلك! في أي

حال، كنت سأقترح عليك أن ترافقيني غداً في نزهة بالسيارة، وذلك يتوقف بالطبع على وضعك الصحي.»

«أنا لست مقعدة، يا جيمس، كان الواجب يقضي بأن أذهب اليوم إلى المكتب، ولكن بما أنك استحصلت لي على إجازة مرضية فلا أرى سبباً يحول دون قبولي...»

«ذلك سيكون مرهوناً بصحتك.»

ردّت متنهدة: «من الممتع أن أعامل كمقعدة لفترة قصيرة، ولكن...»

«حسناً، حسناً! سأتذكر ذلك. أوه... في المناسبة، رأيت لوحة فيشر معلّقة على جدار غرفتك.»

«أجل.» كان من العبث إعلامه بأنها علّقتها هناك كي تكون أول شيء تراه في الصباح وآخر شيء تراه في المساء. فخلال الأيام والأسابيع الماضية بدت اللوحة خيط الوصل الوحيد بينهما، ومضت تقول: «كلّما نظرت إليها، أزداد اعجاباً بها. شكراً على هذه الهدية الرائعة، يا جيمس.»

«يسرني ذلك.» أجابها برضى خالته بالغ فيه، ثم خرج مُغلقاً الباب خلفه بهدوء وتاركاً إياها وحيدة في الغرفة التي أدخلها إليها لدى عودتهما من جزر الكاريبي. وتذكرت الآن بشيء من الألم كيف رفعها بين ذراعيه، ودفع دفتيّ الباب بمرفقيه ثم دَوَّمها في أرجاء الحجرة قبل أن يتهالكا على الأريكة على نحو شبه هستيري.

استلقيا عليها لبعض الوقت يرمقان بعضهما البعض فيما أخذت ضحكاتهما تخف بالتدريج. ثم أرخت يديها المشبوكتين حول عنقه ولفّت ذراعيها حوله وعانقته.

www.liilas.com

حدّقت الآن في نار الموقد والذكرى توهّج عينيها. ليت المرء يتمكن من البقاء في قمة السعادة إلى الأبد. في وقت من الأوقات ظنّت بأنهما سيفعلان لأن حبّهما كان مميّزاً جداً وفريداً. والآن لا تطلب من دنياها إلا أن تستعيد بعضاً من ذلك الحب.

لكن شكاً عميقاً ساورها حين قفز إلى ذهنها جزء من عبارة قالها جيمس قبل قليل، ثم تذكرتها كاملة فنهش العذاب قلبها. «ما كان يجب أن أحملك على الزواج بتلك السرعة.» وأخذت الكلمات تتردد في ذهنها وعبثاً حاولت طردها منطقياً، فهي متأكدة من أنه استعمل هذا التعبير بالذات، وحزّ الألم في نفسها.

الفصل الحادي عشر

على الرغم من رعاية جيمس الحانية، ألمها كثيراً أن تظل منفصلة عنه في الغرفة الصغيرة. فهي مكتفية بمتعة الإستلقاء إلى جانبه والشعور بدفئه. كان يكفي لإسعادها أن تمد يدها في ظلام الليل وتهمس باسمه. ما عدا... ابتسمت... تذكرت النتيجة التي أوصلهما إليها لقاؤهما الحميم عشية الميلاد... وضعت يدها على بطنها باندهاش ثم استسلمت للنوم خلال دقائق.

استيقظت صباحاً من نعاس مريح، فإذا بجيمس يقف عند سريرها وبيده فنجان شاي، ولما استوضح عن حالها أكّدت له بصدق بأنها على خير ما يرام. ثم استوت جالسة وأزاحت شعرها عن جبينها. فعلق وهو يتأملها: «إني لأتساءل إذا كان هذا أساس المشكلة.»

«ماذا تعني؟» شعرت بحمّالة قميصها تنزاح عن كتفها فلم تحاول اصلاحها، ولكن عندما تناولت الفنجان من على المنضدة رمقته بطرف عينيها لترى ردّ فعله.

أجابها: «أعني أنك كنت دائماً تغادرين فراشك صباحاً بسرعة العاصفة. ولربما من الخير أن تأخذي الأمور برويّة...» ثم اتجه صوب الباب فحاولت التغلب على خيبتها. فمن غير المنطقي أن تتوقع... وخفقان قلبها هذا لا يعني بالضرورة... ورفعت الفنجان وشربت الشاي المتعطشة إليه.

www.liilas.com

«إنه لذيذ، يا جيمس، مثلما أحبه تماماً.» قالت ذلك لمجرد أن تحتجزه بضع لحظات أخرى.

غمغم شيئاً لم تفهمه، ولاحظت موقفاً غريباً ودفاعياً في تصرفه. إذ كان يتمسك بالباب وكأنه درع، أما هي فكانت تلهث وتصوّب إليه نظراتٍ حالمة وكأنها تعي لأول مرة شيئاً عرفته دائماً، وهو أنها زوجة لأروع رجل في الدنيا. فقد بدا مميزاً حتى في الثياب العادية التي يرتديها... ثم وعت بأنه ينتظر منها جواباً عن سؤال ما. أحست بالسرور وقالت: «آسفة، ماذا قلت؟»

ردّ بصوت جاف جعلها تقشعر: «طلبت منك أن تلزمي فراشك حتى آتيك بطعام الإفطار.»

«حسناً.»

«بعد ذلك فقط سنقرّر إن كنتِ في حال صحية جيدة تمكنك من مرافقتي إلى ساسكس. في أي حال، الطقس يبدو جيداً، وتقول الأرصاد الجوية إنه سيكون مشمساً بعد حين.»

«حسناً، يا جيمس.» كانت مثالاً للزوجة الخنوعة، وعرفت من تألق عينيه بأنه لم يكن يقلّ عنها تسلياً بهذا الوجه الجديد لشخصيتها. أغلق الباب بسرعة، تاركاً إياها من دون شيء تفعله، سوى النظر إلى صورتها في المرآة المقابلة للسرير، والتساؤل عن السبب الذي جعلها ترتدي قميص النوم هذا من دون سواه. رفضت الإقرار الكلي بأنها هدفت إلى سحر زوجها... قد تكون رغبت في اغوائه... أما السحر...؟

لم يسمح لها بمغادرة الفراش إلا في الساعة العاشرة، وأمضت ساعة بعد ذلك في الاستحمام ولبست ثيابها

واختارت أن ترتدي البلوزة الحريرية الخضراء التي كانت ترتديها يوم سافرت بالطائرة إلى جزر الكاريبي، كون لونها يزيد عينيها اخضراراً. بيد أنها عزفت عن لبس التنورة القصيرة التي ما عادت تليق بامرأة حامل، واختارت بدلاً منها تنورة صوفية بنيّة متوسطة الطول مع شال بنيّ طويل بدا أنيقاً وواقعياً مع الجزمة البنية المصقولة. وأخيراً، تفحصت مظهرها في المرآة ووجدت أنها تجسيد حي لعالم الأزياء الرفيع المستوى الذي تعمل فيه.

كانت شاحبة قليلاً فوضعت شيئاً من أحمر الخدود، وزيّنت شفتيها بلون زهري على بنيّ إنما تركت عينيها من دون ماكياج واكتفت بتسوية حاجبيها الداكنين المقوسين بأصبعها الرطب، واكتملت زينتها باستثناء شيء واحد... وبيدين مرتعشتين لبست القرطين الفضيين، هدية جيمس إليها في عيد الميلاد.

«هل أنت مرتاحة؟»

كانا قد انطلقا بالسيارة منذ ساعة تقريباً عندما طرح السؤال، وكانت تشعر بالنعاس بفعل الدفء والموسيقى الحالمة الناعمة.

«أوه، أجل، أنا في غاية الراحة.» قالت ذلك وقد نسيت تماماً خوفها السابق من أن تُصاب بالغثيان وتفسد متعة الرحلة.

«من المفترض أن نصل قريباً.»

«حسناً.» لم تكن تدري إلى أين سيذهبان ولماذا، وإنما خطر لها أن رحلتهما تتعلق ببحثه عن عمل، وفي هذه الحال، سوف يرتاح أكثر إذا ما سلّت نفسها لبعض الوقت.

www.liilas.com

قالت له بناءً على هذه الخاطرة: «بوسعك أن تنزلني في أي مكان، يا جيمس.»

«أنزلك؟» وهنا انعطف بالسيارة عن الطريق الرئيسي ثم خفف سرعته عندما انعطفا ثانية وسلكا طريقاً ريفية متعرجة. استطرد: «كلا، لا حاجة لذلك. هل تعرفين لماذا أتيت بك إلى هنا؟»

كان يحاول كبت انفعاله فأجابت وهي تنظر إليه بتساؤل. «ليست لديّ أقل فكرة.»

«ستعرفين الجواب قريباً. ثم استدار نحوها وابتسم على ذلك النحو الطبيعيّ الجذّاب الذي أسرها من قبل وجعل قلبها الآن، ينقلب داخل صدرها. وبعد ذلك بقليل، خفف سرعته ومر بين عمودين حجريّين مكسوّين بلبلاب كثيف قد اصفرّ بعضه، وسلك ممراً تقوم على جانبيه أشجار عتيقة. كان سهلاً عليها أن تتخيل كيف سيبدو هذا المكان في فصل الربيع، خُضرة وأزهاراً وعرائش يانعة، مشهداً انكليزياً صميماً لوجود مروج على جانبيه، وكانت جين متأكدة من أن المرج على الجهة الشمالية، يؤدي إلى جدول رقراق تغطي ضفتيه زهور الحوذان...

«لقد وصلنا!» وإذا بهما يخرجان فجأة من بين أشجار تظلل مجموعة أبنية ويتوقفان على فسحة مرصوفة بالحصى، أمام منزل.

«جيمس...» كانت قد فكّت حزام الأمان وأخذت تتفحص معالم البيت الذي بدا مألوفاً جداً إنما... مختلف على نحو مراوغ. وما لبثت أن هتفت بانفعال شديد: «جيمس، إنها دار بارفلور! يا لبراعتك في إيجادها!» ثم ترجلت بسرعة.

www.liilas.com ريما

أسندت ظهرها إلى السيارة وعلّقت وهي تستعرض شكل البيت: «إنه أكبر مما تصوّرت،... وهذه هي النافذة الإضافية التي تعلو الباب الأمامي. ولكن بعض الأشجار مختلف.»

«ذلك لأن قرناً مضى على تاريخ رسم اللوحة ومن الطبيعيّ أن تتغيّر بعض المعالم.» ابتسم وأضاف ملوّحاً لها بمجموعة مفاتيح: «أعتقد أنك متلهفة لرؤية البيت من الداخل.»

«كيف فعلت كل ذلك بحق السماء؟»

«آه.» فتح الباب الأمامي فإذا بهما في بهو بسيط الشكل ذي أرضية خشبية مصقولة ومفروشة ببعض البسط، وفي الزاوية درج يؤدي صعوداً إلى مُنسبطٍ مُعمد. وتابع جيمس: «سأروي لك القصة لاحقاً.»

أبدت اعجابها بالمطبخ الجميل الذي زُوّد بأدوات عصرية مريحة، إنما بطريقة ذكية حافظت على جوّ العصر الذي شُيّد فيه. كذلك أعجبت بالمشاهد الريفية الخلابة التي يطل عليها المرء من ثلاث غرف فسيحة. وحوى المنزل أيضاً، حمّامين غنيين بخشب ماهوغانيّ فكتوري وحنفيات نحاسية، وأربعة مخادع كبيرة، وحجرة صغيرة غير مفروشة وعلّقت جين بحبور: «إنه رائع والناس سوف تجنّ بذينك الحمّامين... ولكن من هم أصحابه، يا جيمس؟» كانا في المخدع الرئيسي، وكانت تقف أمام النافذة تستمتع بالمشهد الخارجي الذي يطل على جدول رقراق مثلما تكهنت. «كيف يسمحون للغرباء بدخول بيتهم... كذلك لم يوقفوا جهاز

www.liilas.com ريما

التدفئة، هل تركوه من أجلنا؟ يا جيمس؟» ولمّا طال صمته التفتت صوبه ورأته يرمقها على نحو غريب. «كنت أسألك، لمن هذا...»

«إنه لك.» قال بصوت خفيض وأجش: «إذا اردته، يا جين، فهو لك.»

كان بقربها مقعد صغير منجّد بقماش لونه يشبه ألوان الستائر وخوان السرير، فتهالكت عليه وقد أربكت ذهنها الكلمات التي ظنّت أنها سمعتها. «ما... ماذا قلت؟»

«سألتني لمن هذا البيت، فقلت إنه لك. لنا. إذا استطعت أن أقنعك بالعيش فيه.»

«تقنعني؟ لم أفهم بعد...»

تقدم منها وقال وهو يجلس على ذراع مقعدها ويمسك بيدها: «كنت دائماً أحب هذا المكان الذي يمتلكه صديق لي، ولكنه يعيش في الخارج منذ أمد طويل. كان يفكر كثيراً في الرجوع إلى بيته هذا، ولكنه تعرف إلى فتاة في أوستراليا وقرّرا الاستقرار هناك. كان يعدني دائماً بأن يبيعني البيت إذا ما قرّر أن يبيعه...»

هالها الأمر، فهو بلا عمل، وهي ستنجب طفلاً... تملكها الذعر... ألم يقل بأنه ما كان يجب أن يتزوج؟ وهتفت: «يجب ألا تشتريه، يا جيمس! فهذا كثير... وغير ضروري، ثم إنك... قلت...» تلألأت عيناها بالدموع، وخشية من أن يلاحظ مدى انفعالها اخفضت نظرها إلى أصابعها المتشابكة ومنعت دموعها من الانهمار.

«ماذا قلتُ؟» حثها على الكلام بصوت لطيف جداً فلم تشعر إلا وإحدى دموعها تسقط على يدها...

«قلت إنه ما كان يجب أن تتزوج. وفي أي حال، هذا البيت كبير ويناسب عائلة كبيرة.»

أجاب وهو يمسح دموعها: «ولكننا بدأنا نكوّن هذه العائلة.» ثم رفع وجهها وأردف مبتسماً ومعاتباً: «أما بالنسبة إلى رأيي في زواجنا، فمن أين أتيت بهذه الفكرة المجنونة؟»

«منك. فأنت قلت ذلك يوم أمس.»

«لكنك حرّفت عبارتي ببراعة. فالذي قلته وقصدته، هو أن اصراري على سرعة الزواج كان فيه الكثير من الظلم والأنانية. ولكنني همت بك، وخشيت إن منحتك فرصة لتفكري أن...»

«أواه، يا جيمس!» وغمرتها سعادة مجنونة لا توصف. فلمست وجهه بتردد وأردفت: «إياك وأن تقول ذلك!» ثم غطّت فمه بأصابعها كي تمنعه عن أي احتجاج أو انكار وتابعت: «لا تنسَ أنني أيضاً كنت في لهفة، أو بالأحرى لم أكن أقل منك تلهفاً إلى الزواج.» وتوردت خجلاً من تلك الذكرى.

أطلق ضحكة عميقة، جعلتها تبتسم له بتعاطف، وقال: «لا، لم أنس. ولكن بما أنني أكثر خبرة منك، كان عليّ أن أكبح جماح تلهفنا وأمنحك وقتاً أطول: فأنا أشعر الآن بأنني حرمتك من شيء ثمين ومهم بالنسبة للنساء... من مرحلة التودد والخطوبة التي يجب أن تُقطع بعناية وتمهل كي تتيح المجال للتعارف المتبادل... فليتني لم أحرمك إياها. أما الآن...»

قالت وهي تلصق يده بخدّها: «جيمس، لقد منحتني كل ما

رغبت فيه. لا تلم نفسك على أي شيء... فلو أعطيتُ الخيار لتغيير مجرى الأمور: لما غيّرت منها شيئاً.»

قال وهو يعانقها بلطف: «لقد قررت، تعويضاً عن أخطائي الماضية، أن أعطيك ما تحتاجين إليه من وقت وفسحة، مع أن رغبتي تلح عليّ...» أبعدها عنه قليلاً وأردف مبتسماً: «من الخير أن أتوقف عند هذا الحد! بل من الخير أن نغادر هذه الغرفة ليظل قراري ساري المفعول. هيّا بنا إلى الخارج لأريك الحدائق...»

لحقت به بتردد، ولكن عندما شاهدت المباني الإضافية الفسيحة، أبدت أهتمامها بمشاريعه لتحويل قسم منها إلى بيت سكني في حال احتياجهما مستقبلاً إلى من يعمل في المنزل والحدائق.

«هناك شيء لا أفهمه، يا جيمس...» كانا قد عادا إلى المطبخ. وكان منشغلاً بسلة الطعام التي أخرجها من صندوق السيارة. ولما تلاشى صوتها تطلع صوبها.

سألها وهو يضع كوبين على الطاولة: «ما هو؟» ثم سارع إلى سكب العصير وناولها كوبها.

حملقت لحظة في العصير ثم رشفت رشفة وقالت: «كيف تستطيع أن تبتاع منزلاً كهذا وأنت بلا عمل؟» ثم أدهشت نفسها حين تابعت تقول باندفاع ومصارحة: «حسبت بأنني سأتمكن من إعالتنا معاً ريثما تجد عملاً آخر. ولكن لا أظن أن راتبي سيكفي لدفع ضرائب على بيت كهذا، كان بودّي أن أفعل، أن أحاول التعويض عن تقصيري تجاهك... ولكن الحمل فاجأني... وما عدت متأكدة من مصير عملي في الشركة.»

www.liilas.com ريما

قطب حاجبيه ثم قال وهو يجلس بقربها: «جين، انسي أمر الشركة في الوقت الحاضر، لأن السؤال الجوهري الآن هو رأيك في الحمل الذي لم ترغبي في حصوله. ولكن بما أنه حصل فما هو شعورك تجاهه؟»

أجابت قائلة بعد أن فكرت ملياً. وكان جوابها غريباً عن شخصية جين بارنارد، رئيسة التحرير المرموقة: «أشعر بالفرح والإثارة، لم يخطر لي قط بأنه سيأتي اليوم، الذي أقول فيه هذا الكلام.»

«باركك الله على كل ما قلته، يا حبيبتي! أما الآن، فمن الخير أن أصارحك بوضعي. إن فائض الحاجة في الشركة كان أمراً تقنياً. وقد أعيد تنظيمه بالكامل، وحيث دُمجت بعض المراكز ووُزّعت حصصها، ولما اطلعت على ما يجري، اقمت الدنيا وأقعدتها كي أعود إلى لندن. وإليك.»

«جيمس...» غمغمت اسمه والغصة تخنقها، وتساءلت عما إذا كانت ستتمكن يوماً من التعبير له عن مدى أسفها...

هز كتفيه وابتسم، ومع ذلك عجز عن اخفاء مشاعره المنجرحة اخفاءً كاملاً: «شعرت وقتئذ بمرارة عميقة ولم أقدر أن أصدق رفضك مرافقتي، وبرحت، بعد ذهابي، أتوقع وصولك من المطار... ولما رجعت تلك الليلة وقلت لي بأنك ستخرجين مع آرثر ديفيز إستبد بي الغضب...»

هتفت تقاطعه: «لا أصدق بأنك غرت منه!»

«بل صدّقي. فبوسعي أن أغار بسهولة، علما أني لم أعرف طعم الغيرة حتى تعرفت إليك، إنها غيرة لا منطقية، وعلى الرغم من ذلك تركتها تنهشني...»

«مثلما غرت أنا من ميراندا.»

www.liilas.com ريما

«ميراندا؟ لماذا هي بالذات؟»

«ذات مساء استبد بي الحنين إليك، فاتصلت بك هاتفياً ولكن ميراندا أجابت وقالت إنك تستحم وسوف تناديك لتكلمني... وكان طبيعياً أن أغار.» وهنا تذكرت ردّ فعلها العنيف فأردفت بصوت مرتعش: «بل شعرت بغيرة مجنونة ووحشية!»

حملق بها مفكراً ثم هتف: «آه، تذكرت... إذن أنت التي خابرتني آنذاك؟ صحيح. لقد نادتني عندما كنت استحم، وكانت قد جاءت إلى شقتي لتأخذ بعض الملفات.» ثم ابتسم فجأة وتابع وعيناه تلمعان بمكر: «قد يهمك أن تعلمي بأنها اصطحبت معها حفيدها البالغ من العمر ثماني سنوات.»

«حفيدها...؟» صعب على ذهنها أن يستوعب كل هذه المعلومات دفعة واحدة: «لم أدر في الأساس بأنها متزوجة.»

«هي غير متزوجة... ولكن هذا لا يمنع حقيقة أنها جدّة. وأود بالمناسبة أن أؤكد لك بأنه على الرغم من الصداقة المتينة القائمة بيننا وعلى الرغم من تقديري لكفاءتها المهنية إلا أنني لم أغرم بها يوماً، ولا أحسبها أغرمت بي. والذي أعرفه منذ أن عرفتها، بأنها مرتبطة عاطفياً بزعيم سياسي بارز في البرازيل. وهكذا ترين أن كلاً منا لم يهتم بالآخر رومانسياً.»

«حقاً؟» كان لجين رأي خاص حول هذا الموضوع، ولكن بعدما اطمأنت الآن إلى وضع جيمس، لم تشأ أن تفكر في ميراندا، ثم إن هناك أمراً آخر ما يزال يقلقها، وسألته: «وأنت لم تترك شركة أتلانتيك أويل؟»

«كلا.» ثم أخذ يدها وطبع قبلة على كفها: «أنا الآن المدير التقني لشمالي أوروبا. إنه مركز مرموق ولذا لا موجب لأن تقلقي بشأن البيت، فبوسعنا أن ندفع ثمنه بسهولة. أعترف بأني اتبعت أساليب ملتوية، فهل بوسعك أن تغفري لي ذلك؟ لم يكن فعلي مقصوداً ولكن الفكرة تملكتني يوم عدت إلى لندن وصعب علي التخلص منها. اعتقد أني كنت أحاول أن أفوز بالحظوة عندك.»

«لقد نجحت حتماً في حملي على الشعور بالذنب. وربما كان ذلك مقصدك.»

«لا أصدق ذلك، ولكن أخبريني، هل حقاً شعرت بالذنب؟»

«بالطبع أيها البائس! فلقد تعذبت كثيراً لاعتقادي بأن عنادي قد أفقدك وظيفتك.»

«إذن أنت تعترفين بأنك عنيدة.»

«عنيدة ومتصلبة وصموحة و...»

وضع أصبعه على شفتيها: «كفى، فأنت تتكلمين عن المرأة التي أحب، عن أم أطفالي...»

قاطعته بحدة: «أم طفلك.»

«يسعدني أن أبدأ بواحد، ولكنك... ذكرت الطموح وهذه صفة لم تحاولي أبداً اخفاءها عني ولا تظاهرت يوماً بأن مهنتك ليست مهمة بالنسبة إليك. فما هو شعورك الآن؟»

تكلمت بتمهل، وكأنها صارت الآن على استعداد لمواجهة حقائق معيّنة: «لا أنوي أن أترك طفلي... طفلنا... في رعاية شخص سواي. فلقد عرفت أناساً عديدين اشتكوا من المشكلات التي تسببها المربيات...»

«لكن هناك مربيات جيّدات أيضاً.»

www.liilas.com ريما

«أكيد، إنما لا يخلو الأمر من المجازفة.»

«في أي حال، سيكون القرار لك وحدك في هذا الشأن، ولكن هناك أمراً آخر، فكّرت فيه ملياً في الأيام الأخيرة الماضية وهو تأسيس محل صغير للأزياء النسائية، فهل تعتقدين أن المنطقة هنا تتحمل محلاً كهذا؟ بوسعي أن أقدّم لك معونة مالية حتى تتمكني من الوقوف على قدميك...»

«جيمس، يا لها من فكرة سديدة ورائعة!» تكلمت بصوت خفيض وتفكير.

«تعرفين رؤساء الشركات المختصة، أليس كذلك؟»

«أجل.» وأردفت وعيناها الخضراوان تبرقان بإثارة وانفعال: «ما رأيك بتلك الحظيرة اللطيفة القائمة خلف المنزل؟ ألم يخطر لك أنها قد تكون موقعاً ممتازاً ورائعاً لبيع الملابس الريفية الأنيقة؟»

أجابها بحذر: «لا، لم يخطر لي ذلك.»

«بوسعي أن أتخيل محلاً للأزياء في مكان كهذا... أوه، جيمس، لن أمانع كثيراً في توظيف مربّية ما دمت قريبة من البيت وأستطيع بالتالي أن أراقب طفلنا عن كثب.»

«يبدو وكأنك رسمت كل شيء بدقة، أنا أكيد من نجاحك الباهر في هذا المضمار.»

«أنت تضحك مني، أليس كذلك؟» ولمّا ضحك بالفعل، شاركته الضحك إلى أن أجبرت على مسح بعض الدموع، وتابعت وهي تحاول أن تبدو وقورة: «لم أعن أني سأشرع الأسبوع المقبل في التأسيس. ولكنه مشروع جدير بالتفكير والتخطيط. سوف اسمّيه أزياء جين بارنارد.» ثم جعّدت أنفها وأردفت: «كلا، إنه يفتقر إلى الحيوية المطلوبة

لإنجاح محل كهذا، في أي حال، لديّ وقت طويل لأختيار اسم أنيق.»

أسرع جيمس يفتح أوعية الطعام المختلفة: «هيا نأكل، لا ريب أنك تتضورين جوعاً... مثلما أتضور أنا. جلبت طيوراً محمّرة، وسلطة بطاطا ولحوماً باردة، إن كنت تفضلينها...»

تناولا الطعام وهما يتبادلان الابتسام. ويتأملان منسحرين بعضهما البعض، وكانت جين تعيش سعادة كبيرة لم تعرفها من قبل، الأمر الذي حملها أخيراً على القول بصوت حالم ورومانسي: «جيمس؟»

«نعم؟» وكانت عيناه حانيتين وواعدتين.

ثبّتت أصابعها حول عنق كأسها وحدّقت في العصير الذهبي ثم رمقته من بين أهدابها الطويلة وسألت: «كيف سيكون رد فعلك لو دلقت عليك هذا العصير؟»

تهلل بتمهل ودار حول الطاولة ثم رفعها إليه بقوة عنيفة بحيث وجدت نفسها تقف على رؤوس أصابعها، واستطاعت، لشدة قربها منه، أن تسمع ضربات قلبه المحمومة وهي تتحد مع خفقات فؤادها، ثم قال: «تعلمين جيداً بأنني عقدت اتفاقية مع نفسي تنص على وجوب اعطائك وقتاً. لقد أقسمت بأن لا أستعجلك لتستمتعي بمرحلة التودد...»

«كفى! لا تكمل، يا جيمس بارنارد. ألم أقع في حبك عندما كنت متهوراً وأنانياً... أوه، أعني أني لا أحتاج مزيداً من ذلك التودد في الوقت الحاضر.»

شهقت على الرغم منها، ثم أبعدها قليلاً ليحملق إليها

وسرعان ما استرخت تعابيره وابتسم. وبعد ذلك رفعها بعناية ورفق، وعبر بها المطبخ إلى البهو وشرع يصعد الدرج.

استيقظت جين مع غروب شمس الشتاء، وتمطت بكسل ناعس، ثم وعت بأنها في سرير غريب، فأدارت رأسها بحدة فإذا بزوجها يتأملها بصمت وتركيز. «أوه، جيمس...!»

«تبدين مندهشة، هل توقعت رؤية شخص آخر؟»

«كلا، فأنت خياري الأول والأخير...» ولمست أصابعه «جيمس.»

«نعم يا جين؟»

«لا شيء. أردت فقط أن أنطق اسمك.» وتبادلا الابتسامات الحميمة. سألته: «أتظن أن صديقك، الذي يعتزم بيع البيت، سيتكدر من استعمالنا غير المشروع لسريره؟»

قال وهو يزيح خصلة شعر عن عينيها: «إنه سريرك. وهذا بيتك وكل ما فيه لك، فهو أراد بيعه بكامل أثاثه فاشتريته آملاً في موافقتك. ولكن إذا رغبت في تغيير بعض...»

«كلا. فهو كامل من كافة النواحي وأحبه كما هو.»

«وهناك الحجرة الصغيرة غير المفروشة. ستكون غرفة طفلنا وبوسعك أن تؤثثيها مثلما يحلو لك وبأي ثمن.»

«أجل.» واستغرقت بضع لحظات في التفكير تحلم بورق جدران مزيّن بفراخ البط وبفرش مهدٍ مماثل، إلى أن أحست به ينقف أحد قرطيها بظفره، وسألها باسترخاء وكسل:

«عندما سُئلت مارلين مونرو عما ترتدي في الفراش، أتذكرين جوابها؟»

«لدي شعور بأنك ستخبرني ذلك.»

«قالت إنها تضع عطر شانيل.»

«جواب مفعم!»

«حسناً، انطلاقاً من ذلك، سأسألك إن كنت تضعين الأقراط وأنت على السرير.»

«أضع هذين فقط. فهما هدية من حبيبي ولا أقوى على فراقهما. ولكن من المحزن أنني لم أتمكن من شُكره كما يجب.»

قال وعيناه تبرقان بمكر: «حسناً، إذا أردت أن تشكريه الآن فأنا أكيد بأنه سيرحب بملاقاتك في أبعد من وسط الطريق.»

تمت

www.liilas.com
ريما www.liilas.com